الدوافع الرئيسية فى تغيير حدود فلسطين

د. عبد الفتاح حسن أبو علية

أستاذ التاريخ الحديث المشارك
بكلية العلوم الاجتماعية

الدوافع الرئيسة في تغيير حدود فلسطين

تعاقبت ثمة أحداث ومتغيرات تعود في الأصل الى أساسات دينية واقتصادية وسياسية واجتماعية أثرت مفردة ومجموعة غالبا في مبدأ تغيير حدود فلسطين في مراحل تاريخها. وإني لأذهب بلا تردد أن تحديد أولوية العامل المؤثر يخضع في الأساس لظروف تقرره بناء على قوة دفعه نحو مبدأ التغيير الحاصل وبناء على مدى الاستجابة الناجمة عنه.

وتأسيسا عليه : فإن دوافع تغيير الحدود الفلسطينية كانت متنوعة ومتفاوتة في التأثير ومختلفة في الحصيلة الناتجة عن الاستجابة للدافع بالرغم من أن النتيجة واحدة في نهاية الأمر. فكانت الدوافع في عموميتها متنوعة وكانت الحصيلة الناتجة واحدة.

هـــدف الدراســـة :

مما لاشك فيه أن مثل هذه الدراسة تنضوى تحت قائمة موضوعات الجغرافية السياسية التاريخية من حيث الموضوع العام؛ لكنها تشكل دراسة تاريخية من حيث منطوق أحداثها عندما تتناول جانب الدوافع والمسببات وتحليلاتها.

وتبرز أهمية هذه الدراسة والهدف منها في التصور العريض لدوافع التغيير والتعرف الى حركية التطبيق ومدى استجابته لمبدأ التغيير من حيث تجسيد الأهداف وتمثيلها ثم من حيث سيرورتها ومدى تمشيها مع منطق الحق والأحقية من جهة أو مع مبدأ الأمر الواقع والقبول به كمبدأ مفروض من جهة أخرى.

وعلى ضوء الدراسة هذه يمكننا توقع خريطة فلسطين في المستقبل من جراء دراستنا لشرائح التغيير الذى حدث للخريطة الفلسطينية في فترات تاريخية متلاحقة ثم للنتائج التي ترتبت على كل شريحة من شرائح تغيير الحدود مع الأخذ بعين الاعتبار المدّة التي استغرقتها كل شريحة حتى صارت واقعا مفهوما أو على الأقل واقعا أشبه بمفهوم.

وعلى ضوء هذه الدراسة يمكننا الحكم على إمكانية بروز خريطة فِلَسْطِين المستقبلية أمراً واقعاً أم أنها ستبقى حدسا لا يخرج عن كونه محض خيال وتصور يبقى في عالم الأحداث الرومنتيقية أو في عداد الأحداث التي لا يقدر لها أن تبرز على السطح أو أن تدخل الى واقع العمل وحيز التنفيذ.

وتبرز أهمية هذه الدراسة في مدى تعرفها إلى الأسلوب الذى تم بواسطته التغيير. فهل كان أسلوب التغيير نمطا من أنماط القهر والإجبار؟ أم نمطا اعتمد في الأساس على ادعاءات معينة أو على وضع أجبر على ضرورة التغيير. أو على اسلوب اعتمد في أساسه على استغلال ظرف معين أو فرصة مناسبة.

وقد برزت عدة أحداث في التاريخ الحديث والمعاصر كانت في مجموعها قد أثرت تأثيرا فعالا في خريطة فلسطين.

إدوّن هنا هذه الأحداث التي أعتقد أنها تأتي في المقام الأول من حيث أهميتها في تغيير الخريطة الفلسطينية.

- الادعاءات والحجج التي قامت على اعتبارات دينية وعاطفية من جهة؛ أو على أسس تاريخية من جهة أخرى. فقد أثرت هذه الادعاءات والحجج على التركيز على الخريطة الفلسطينية وجعلت منها وحدة إدارية وسياسية مستقلة. كما أنها لعبت دورا بارزا في فصل فلسطين عن سورية. «فإن فصل المنطقة الفلسطينية عن سورية له ما يبرره في الخبرة الدينية للإنسانية. فالكنيستان اليهودية والمسيحية أبصرتا النور في فلسطين وكانت القدس لسنوات طويلة وفترات مختلفة عاصمةً لكل منها.[1] فقد عدُّوا القدس منذ البداية مكانا

---

(١) نحن لا نتفق مع ما أوردته لجنة الخبراء الأمريكية في تقريرها المقدم الى الرئيس ويلسون في ١٢ كانون ثاني ١٩١٩م في شأن صلة المسلمين بفلسطين بأنها غير وثيقة الى درجة صلة اليهودية والمسيحية بها. فتعود صلة المسلمين بفلسطين إلى زمن بعيدا جدا لأن المسلمين هم من العرب. والكنعانيون العرب كانوا قد سكنوا فلسطين في حدود الألف الرابع ق. م.

وأن قدسية فلسطين لم تكن محض اعتبار، بل هي حقيقة دينية ثابتة نزلت في القرآن الكريم... (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله) سورة الإسراء ـ الآية الأولى.

وفلسطين بلد مقدس عند أتباع الديانات السماوية الثلاث ـ اليهودية والمسيحية والإسلام. والإسلام يؤمن بكل ═

مقدسا. ولا يمكن إيفاء هذه الحقائق الكبرى نصيبها من الأهمية إلاّ بجعل فلسطين دولة قائمة بذاتها[٢]».

- الهجرة اليهودية المتلاحقة والمستمرة إلى فلسطين كجزء من المخططات الصهيونية لإحداث ما يوهم بوجود تشبع سكاني في منطقة محدودة المساحة والإمكانات الاقتصادية، وذلك لتبرير عملية التوسع الحدودي تحت ضغط الانفجار السكاني وكوسيلة من وسائل القبول بالأمر الواقع عندما يحدث التغيير.
- التنافس الاستعماری الدولي في الشرق كأسلوب من أساليب الحفاظ على المصالح الاستعمارية للمتنافسين في المنطقة المعنية، أعني مناطق الشرق التي خضعت لأعنف هجمة استعمارية وأشدها والتي كانت وليدة التنافس الاستعماری العالمي المبنى على أساس المصالح الاستراتيجية للدول العظمى.
- بروز الصهيونية العالمية كحركة سياسية تمثلت في مخططاتها الإستعمارية الاستيطانية التوسعية في فلسطين.
- الإفادة من مبدأ الحدود الآمنة ونظرية الدفاع عن النفس، النظرية المزعومة التي تدعيها إسرائيل بخاصة بعد حرب عام ١٩٦٧م ١٣٨٧ هـ . وقد استغلت إسرائيل الوضع الناجم عن الحرب لتفرض أمرا واقعا تحت ضغط معين. وقد استغلت اسرائيل كذلك كل ما ادعته من مبررات لاستدرار العاطفة الدولية بعد إعداد مخطط إعلامي مدروس يوازى في حجمه الأهداف التي جاء من أجل تغطيتها.

أهميــة فلســطين :

تحتل فلسطين منذ فجر التاريخ والى يومنا هذا أهمية متميزة بفضل ما توافر لها من عوامل

= الأنبياء ويكرمهم وينزههم عن كل نقص بدءا من آدم وابراهيم ونوح... وحتى موسى وعيسى ومحمد عليهم جميعا السلام. قال تعالى: (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله) سورة البقرة ـ آية ٢٨٥. وقال تعالى: (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون) سورة البقرة ـ ١٣٦.

(٢) كانون الثانى ١٩١٩م ١٣٣٨ هـ ـ ملف وثائق فلسطين ، الجزء الأول وزارة الإرشاد القومي بالقاهرة ١٩٦٩م.

الجذب. فموقع فلسطين يشكل الزاوية الجنوبية الغربية من بلاد الشام. ولها ساحل طويل مطل على البحر المتوسط يربط قارة آسيا بقارة أفريقية. وبواسطة ساحلها هذا ترتبط قارة أوربا بقارة آسيا عن طريق مياه البحر المتوسط .

واستنادا إلى مقومات الأهمية؛ فإن موقع فلسطين يشكل محورا من محاور الاتصال بين شعوب القارات الثلاث: آسيا وأوربا وأفريقية. وظلت فلسطين ممرا طبيعياً للتجارة الدولية وممرا ممتازا للوصول إلى الشرق بؤرة الصراع الاستعماري.

وزاد في أهمية فلسطين افتتاح قناة السويس؛ لأنها تعدُّ نقطة ممتازة من بين النقاط الأساسية في الدفاع عن القناة، مما ركز على الاهتمام بها. وظلت حكومة بريطانية العظمى «لم تستسغ أن ترى فرنسا أو أية دولة كبيرة توطد أقدامها على كثب من قناة السويس»[٣]. ورأت بريطانية في موقع فلسطين درعا واقيا يحمي قناة السويس وطريقا رئيساً إلى الشرق[٤] حتى أنها كانت ترى في الوجود التركي في فلسطين سببا كافيا للقلق على مصالحها في القناة ومصر. ولما طلبت فرنسا أن تكون سورية ضمن خريطة البلاد التى تريدها بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى «فقد صار لزاما على بريطانية ـ تأمينا لسلامتها ـ إن لم يكن لأى شيء آخر ـ أن تقيم حاجزا بين موقعها في قناة السويس وموقع فرنسة المقبل في سورية...»[٥] كما أن بريطانية كانت ترى أن موقع فلسطين يؤمن لها طرق المواصلات البحرية المؤدية إلى الهند»[٦].

يبيّـن لنا المقدسى منزلة بلاد الشام متضمنة منزلة فِلَسْطين على اعتبار أنها كانت تشكل كورة من كورها. يقول المقدسى:

«وبه القبلة الأولى، وموضع الحشر والمسرى والأرض المقدس والرباطات الفاضلة والثغور الجليلة والجبال الشريفة، ومهاجر ابراهيم وقبره وديار أيوب وبئره ومحراب داود وبابه وعجائب سليمان ومدنه وتربة اسحاق وأمة ومولد المسيح ومهده وقرية طالوت ونهره ومقتل جالوت وحصنه وجب أرميا وحبسه ومسجد أوربا وبنيه وقبة محمد وبابه وصخرة موسى وربوة عيسى ومحراب

(٣) أنطونيوس (جورج) : يقظة العرب ، ترجمة الدكتور ناصر الدين الأسد، والدكتور إحسان عباس ص ٣٥١، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م.

(٤) أنطونيوس : المرجع السابق ص ٣٥١ .

(٥) أنطونيوس : نفسه ص ٣٥١ .

(٦) التريكي (حسين) : هذه فلسطين ص ٦٩ ـ الشركة التونسية للتوزيع بتونس ١٩٧١م.

زكريا ومعرك يحيى ومشاهد الأنبياء وقرى أيوب ومنازل يعقوب والمسجد الأقصى وجبل زيتا ومدينة عكا ومشهد صديقا وقبر موسى ومضجع ابراهيم ومقبرته ومدينة عسقلان وعين سلوان وموضع لقمان ووادى كنعان ومدائن لوط وموضع الجنان ومساجد عمر ووقف عثمان والباب الذى ذكره الرجلان والمجلس الذى حضره الخصمان والسور الذى بين العذاب والغِفران والمكان القريب ومشهد بيسان وباب خطة ذو القدر والشأن وباب الصور وموضع اليقين وقبر مريم وراحيل ومجمع البحرين ومفرق الدارين وباب السكينة وقبة السلسلة ومنزل الكعبة مع مشاهد لا تحصى وفضائل لا تخفى.

ومنذ فجر التاريخ وفلسطين تتوارث قدسيتها وأهميتها الدينية. فمنذ العهد الكنعاني وفلسطين تتمتع بقدسية خاصة. ففيها هيكل للرب الكنعاني أقامه الكنعانيون في مدينتهم أورسالم، مدينة الإله سالم، إله السلام اليبوسي(٧) ومنذ ذلك الزمان وفلسطين تختص بقدسية راسخة في النفوس. وفيها ظهرت أول جماعة اعتنقت عبادة التوحيد في إله واحد(٨) هو الإله سالم. حتى أن «...العبرانيين أفادوا من هذا المظهر الديني الحضاري المتأصل عند الكنعانيين فأقاموا هيكلهم في مدينة أوروسالم بعد أن انتزعوها عنفا من اليبوسيين أصحابها ومنشئيها».

واليبوسيون هم من الكنعانيين الذين هاجروا من الجزيرة العربية على شكل هجرات سامية متلاحقة قطن بعضهم أرض بلاد ما بين النهرين وقطن البعض الآخر منهم بلاد أرض كنعان (فِلَسْطين فيما بعد) وبنوا فيها عاصمتهم يبوس أو أورسالم فيما بعد (القدس في وقتنا الحاضر)، وذلك في حوالي عام ٣٠٠٠ ق. م.

واليبوسيون الكنعانيون هم شعب سامي متحضر، عرف الزراعة والتجارة والاستقرار. وتمتعت عاصمتهم يبوس بمركز تجاري حضاري مميز بسبب نشاط أهلها المتحضرين من جهة وبسبب موقعها الاستراتيجي المتوسط في البلاد من جهة أخرى. وكانت لهم صلات قوية مع الفراعنة في مصر.

حاول العبرانيون احتلال أرض كنعان من اليبوسيين منذ عام ١٢٦٠ ق. م، وقد احتلوها

---

(٧) د . الحسيني (إسحاق موسى) : من تاريخ بيت المقدس، معلومات تاريخية دونها الدكتور الحسيني في مفكرة القدس لعام ١٩٧٨م، دار القدس للنشر والطباعة والتوزيع - بيروت ص ٢٧.

(٨) الدباغ (مصطفى) : بلادنا فلسطين، القسم التاريخي من الجزء الأول، طبعة بيروت ١٣٨٤ هـ/١٩٦٥م، منشورات دار الطليعة ص ٣٩٦.

بعد جهد حربي كبير. وقد تأثر العبرانيون كثيراً بالحضارة اليبوسية، ممّا أحدث لديهم تغييرات جوهرية في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية حين تركوا البداوة وارتدوا الملابس الصوفية الجميلة الزاهية بدلاً من لبس الجلود. وغيروا وظائفهم الاقتصادية متأثرين بحالة الاستقرار والتحضر التي كان يتمتع بها اليبوسيون في بلادهم قبل الاحتلال العبراني لها.

وظل العبرانيون طيلة وجودهم في أرض كنعان جماعة منقسمة على نفسها، وظلوا يفتقدون الأمن والاستقرار والحرية والاستقلال بفضل هجمات الكنعانيين والمؤابيين والعموريين وغيرهم. وبناءً عليه فإن الوجود الكنعاني في فلسطين كان اسبق من الاحتلال العبراني عبرة ثمانية عشر قرناً..

وعلى الرغم من أن موقع فلسطين وأهميتها كانا سببين من أسباب جلب النقمة لسكانها لكثرة ما تعرضوا له من غزو متلاحق جلب إليهم الويلات والنكبات؛ إلاّ أن هذا كان سببا في ظهور نوع بارز من الحضارة الراقية فيها وذلك لكثرة احتكاك السكان بالشعوب الأخرى وانفتاحهم على العالم في حضاراته وثقافاته وتياراته الفكرية والسياسية المختلفة. وقد ساعد نشوء مثل هذه الحضارة في المنطقة المعنية على التركيز عليها مما زاد في ثقلها الاستراتيجي بخاصة بعد أن تأصلت فيها مقومات التمدين.

خريطة فلسطين في القديم :

مما لاشك فيه أن فلسطين لم تعرف الحدود السياسية طيلة عهود تاريخها، وظلت هكذا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. وتأسيسا على هذا ظلت حدود فلسطين حدودا اعتبارية فقط تخضع دائما لاعتبارات القوة والضعف بالنسبة للسلطة المركزية فيها. ومن هنا نلاحظ أن الخريطة الفلسطينية لم تأخذ شكلا ثابتا في حدودها. وظلت خريطة فلسطين تتفاوت في الاتساع والانكماش طيلة عهودها التاريخية إلا أنه في العهد الإسلامى كانت فلسطين جزء من بلاد المسلمين ودولتهم العظمى وكانت أجزاء الدولة يطلق عليها أقاليم أو ولايات وكانت فلسطين جزءاً من بلاد الشام.

وكتطبيق على هذا أعرض نماذج ثلاثة لخريطة فلسطين في تاريخها القديم هي:

- خريطة فلسطين في العهد الكنعاني في حدود عام ٣٠٠٠ ق. م[٩]
- خريطة فلسطين تحت حكم النبي داود في حدود عام ١٠١٣ ق. م حتى عام ٩٧٣ ق. م[١٠].
- خريطة فلسطين تحت الحكم الروماني سنة ٣٧م[١١].

فاذا ألقينا نظرة على حدود فلسطين غير الثابتة في الخرائط التاريخية الثلاث نلاحظ تباينا واضحا في الحدود الشمالية الساحلية التى تمثلها الخرائط الثلاث.

فنجد حدود فلسطين الساحلية من جهة الشمال في الخريطة الأولى تصل الى شمال مدينة صور عند نهر الليطاني؛ بينما تصل حدود فلسطين الشمالية الساحلية في الخريطة الثانية إلى امتداد لا يتجاوز ساحل مدينة حيفا. وتصل الحدود الشمالية الساحلية الفلسطينية في الخريطة الثالثة الى الشمال من قيسارية قرب مصب نهر الزرقاء في فلسطين.

أما الحدود الشمالية الداخلية لفلسطين فنجدها تصل في امتدادها الى عمق أراضي قرية آبل[١٢] والدان في الشمال من بحيرة الحولة. وإذا نظرنا الى الحدود الشرقية في هذه الخرائط الثلاث نلاحظ كذلك التباين الواضح في حدود هذه الجهة. فالخريطة الكنعانية تعطي لنا حدا يمتد من قرية آبل ثم يتجه إلى الحولة وطبرية والبحر الميت حتى رأس البحر الأحمر عند عصيون جابر (العقبة). أما في الخريطتين الثانية والثالثة فنجد تباينا واضحا في الحدود الشرقية لفلسطين في ظل سيادة النبي داود وفي ظل السيادة الرومانية. فنلاحظ أن امتداد الحدود الشرقية في الخريطة الثالثة يصل من ناحية الشرق الشمالي إلى عمق الجولان وجبل الشيخ. بينما لا نجد هذا الامتداد في خريطة فلسطين في عهد داود عليه السلام.

ومن هنا نلاحظ مدى انكماش الحدود الفلسطينية في عهد نبينا داود إذا ما قورنت بالخريطة الكنعانية من جهة؛ والخريطة الرومانية من جهة أخرى. أما الحدود الجنوبية في

(٩) انظر خريطة شكل (١) .
(١٠) انظر خريطة شكل (٢) .
(١١) انظر خريطة شكل (٣) .
(١٢) آبل « Abel» وهي قرية بيت معكة الكنعانية وهي قرية: آبل القمح» اليوم التي هي من أعمال صفد. وتقع هذه القرية على بعد ١٢ ميلا الى الشمال الشرقي من بحيرة الحولة، مقابل قرية دان (تل القاضي). وتحتوى هذه القرية على أنقاض «تل آبل» انظر الدباغ: بلادنا فلسطين ص ٤٣٣.

الخريطتين الثانية والثالثة فهما في حكم التشابه وأنهما لا تصلان في حدودهما الجنوبية إلى ما وصلت إليه الحدود الفلسطينية الجنوبية في الخريطة الكنعانية.

الخريطة الفلسطينية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى :

شكلت خريطة فلسطين في العهد الإسلامي جنداً إسلامياً من جند بلاد الشام. وإذا رجعنا الى المناطق التي ضمت إلى هذا الجند نجد أن حدودها تبدأ من مدينة رفح على ساحل البحر المتوسط في الجنوب وتنتهي شمالا عند اللجون(١٣)، ويمتد حد فلسطين في الجنوب عند ايلة (العقبة) ويشمل جنده ديار قوم لوط والبحيرة الميتة(١٤) وزغر وبيسان وطبرية.

أما عن خريطة فلسطين في العهد العثماني في القرن ١٩م فكانت مقسمة الى: ولاية عكا في الشمال وتضم أقضية حيفا والناصرة وطبرية وصفد وكانت تتبع ولاية بيروت. ومتصرفية نابلس وتضم أقضية جنين وطولكرم وهى تابعة لولاية بيروت. وتضم متصرفية القدس أقضية: القدس ويافا والخليل وغزة وبئر السبع. وكانت هذه المتصرفية مستقلة عن غيرها من المتصرفيات والولايات في بلاد الشام. وكانت تابعة بشكل مباشر إلى الآستانة(١٥).

ونلاحظ أن العثمانيين ميزوا فلسطين بأن جعلوا القدس متصرفية خاصة وذلك لأهميتها الدينية ولأنها تحتل مكانة مقدسة في نفوس المسلمين يجب الاهتمام بها والعناية بشؤونها؛ لأنها تحوى جزءا من المقدسات الإسلامية.

ونلاحظ كذلك أن خريطة فلسطين في العهد الإسلامي ظلت تشكل جزءا متمما لبلاد الشام لا تنفصل عنه على الرغم مما لاقته من عناية مركزة عليها لظرفها الخاص وهو ما تتحلى

(١٣) اللجون : مدينة على رأس حد فلسطين في الجبال. بها ماء جار رحبة نزيهة. انظر المقدسي: أحسن التقاسيم ص ١٩٧.

(١٤) البحيرة الميتة هي البحر الميت وأحيانا كانت تسمى بحيرة لوط أو بحيرة الزفت.

(١٥) د. عبدالكريم (أحمد عزت) : التقسيم الإدارى لسورية في العهد العثماني، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٥١م.

انظر كذلك خريطة شكل (٤) . ارجع في ذلك إلى خريطة «سورية وتقسيماتها الإدارية تحت الإدارة العثمانية من كتاب» ملف وثائق فلسطين ص ١٥٧.

به من قدسية خاصة. وعلينا أن نلاحظ أن حدود فلسطين لم تكن حدودا سياسية بالمفهوم المتعارف عليه في وقتنا الحاضر، لأن البلاد الإسلامية التابعة للدولة الإسلامية الأم مهما كان مصدرها ظلت بلادا مفتوحة فيما بينها ولا تعرف مناطقها أو أقاليمها أو ولاياتها الحدود السياسية وإنما هي أجزاء من دولة واحدة مهما ترامى اتساعها وامتدادها.

خريطة فلسطين في معاهدة سايكس بيكو :

بدأت خريطة فلسطين تعرف الحدود السياسية بمعناها الدولي في معاهدة سايكس بيكو في ١٦ أيار ١٩١٦م ١٣٣٤ هـ . وقد برز هذا التحديد السياسي للخريطة الفلسطينية في ظل سيادة المبادىء القائمة أساسا على مصالح الدول الاستعمارية من جهة ومصالح الصهيونية العالمية من جهة أخرى. وفي نهاية الأمر لابد من وجود التوافق والتطابق بين هذه المصالح مهما اختلفت في أساليب التطبيق فستكون الحصيلة واحدة في آخر الأمر.

ويمكن ذكر بعض الأسباب التي أدت إلى إقامة هذا التحديد السياسي لفلسطين بشكل منفصل عن التحديد السياسي لبلاد الشام. فيمكن القول:

إن مصالح انكلترا جعلتها تركز على ضرورة فصل فلسطين عن غيرها ثم وضع حدود لها لتكون منطقة مميزة تشير إلى وضع خاص وهذا ما أدعاه سايكس أثناء محادثاته مع نظيره الفرنسي حين ميز فلسطين عن غيرها حين قال «بأن نقطة الاهتمام بها تأتي من كونها نقطة اهتمام أولى عند اتباع الديانات العالمية الثلاث». ولهذا ظل سايكس حريصا كل الحرص على أن تنشأ في فلسطين (المنطقة السمراء) إدارة دولية يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة[١٦]. وكان هذا الاجراء الأولي يشير بكل تأكيد الى عملية فصلها عن فرنسا كخطوة أولى ثم تحويلها بعد ذلك إلى إشراف دولي كخطوة ثانية ثم وضعها تحت الانتداب البريطانى كخطوة ثالثة ثم إعطائها إلى الصهيونية العالمية فيما بعد كخطوة رابعة.

وقد دعم الصهاينة هذا التخطيط البريطاني حين أعلن رؤساؤهم قبول وضع فلسطين كما

---

(١٦) انظر معاهدة سايكس بيكو فى كتاب : «وثائق القضية الفلسطينية» التي أصدرته جامعة الدول العربية.

حددت في معاهدة «سايكس بيكو» تحت الحماية والانتداب البريطاني[١٧]؛ كما أنهم قد أعلنوا رفضهم لمبدأ جعل فلسطين منطقة إدارية تابعة للإدارة الدولية أو للإشراف الدولي. ويوضح هذا مدى التوافق في المخططات الاستعمارية ذات المصالح المشتركة أو على الأقل المتشابكة في المصالح.

ومن حيث الواقع التطبيقي للمخططات الاستعمارية في فلسطين فقد احتلت القوات البريطانية المصرية (الحملة المصرية) فلسطين زاحفة نحوها من جهة الجنوب من مدينة غزة. وكانت الحملة بقيادة الجنرال البريطاني اللورد اللنبي وذلك في ٧ تشرين الثاني ١٩١٧م ١٣٣٦ هـ . وقد سلمت مدينة القدس في ٩ كانون أول ١٩١٧م ١٣٣٦ هـ[١٨].

وبعد احتلال بريطانيا للأرض الفلسطينية تشكلت فيها إدارة عسكرية على اعتبار أنها أرض محتلة من أملاك العدو الجنوبية وظلت الإدارة العسكرية سارية المفعول حتى عام ١٩٢٠م ١٣٣٨ هـ . وبعد ذلك عدلت الإدارة العسكرية بنوع جديد من أساليب الحكم والسيادة، وهو حكم الإدارة المدنية الذي طبقته بريطانيا في فلسطين ابتداء من مطلع شهر تموز ١٩٢٠م ١٣٣٨ هـ على إثر اتفاق سان ريمو الموقع في ٢٤ نيسان ١٩٢٠م ١٣٣٨ هـ[١٩]. وقد اتخذت بريطانيا هذا الإجراء بعد أن تحركت الصهيونية العالمية في كل مكان تريد تأكيد الانتداب البريطاني على فلسطين وجعله حقيقة واقعة.

ومن أجل هذا تحرك النواب اليهود في بريطانيا وعقدوا اجتماعا في مدينة لندن في ١٨ نيسان ١٩٢٠م ١٣٣٨ هـ طالبوا فيه بريطانيا أن تظل مصرة على تولي الانتداب على فلسطين. وهذا بدوره أدى الى تحرك اللجان القومية لحزب العمال البريطاني في ٢٢ نيسان ١٩٢٠م ١٣٣٨ هـ فأبرقت الى لويد جورج ـ رئيس وزراء بريطانيا ـ الموجود وقتذاك في سان ريمو وطالبته باسم المعارضة أن يقبل باسم حكومته الانتداب على فلسطين لتتولى عملية تنفيذ

---

(١٧) انظر مذكرة اللجنة السياسية للمنظمة الصهيونية التي كانت برئاسة حاييم وايزمان المقدمة الى السفير البريطاني مارك سايكس في كتاب حسين التريكي: هذه فلسطين، الشركة التونسية للتوزيع ص ١٠٧، ١٠٨.

(١٨) لمعرفة التفاصيل ارجع الى : العميد الركن / شكرى محمود نديم : حرب فلسطين من ١٩١٤ ـ ١٩١٨، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

(١٩) د . أنيس (محمد) ود. حراز (السيد رجب) : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٧م، ص ٥٣٥.

سياسة الوطن القومي لليهود فيها[٢٠].

والجدير بالذكر هنا أن الزعماء السوريين كانوا قد اتفقوا مع الأمير فيصل ابن الشريف حسين على ضرورة دعوة الشعب السورى الى انتخاب ممثلين عنهم ليجتمعوا في دمشق ويختاروا نوع الحكم الذى يريدونه ليقدموه الى اللجنة الدولية التي ستصل البلاد السورية للتحقق من رغبات السكان المحليين بخصوص نوع الحكم الذي سينشأ في بلادهم مستقبلا [٢١]. وجرت انتخابات بالفعل، واجتمع في دمشق في ٧ تموز ١٩١٩ ١٣٣٥ هـ المؤتمر السورى العام الذى حضره ممثلون عن جميع أنحاء سورية بما في ذلك الجزء الجنوبي وهو فلسطين. وظل السوريون يطالبون باستقلال سورية ضمن حدودها الطبيعية أى بما في ذلك فلسطين. وطالب المؤتمر السورى إنشاء حكم ملكي دستورى في البلاد، على أن ينصب الأمير فيصل بن الحسين ملكا عليها. وشدد المؤتمر على وحدة سورية. ورفض كل مشروع يرمى الى تجزئتها. ورفض ما تدعيه الصهيونية في فلسطين[٢٢].

وتحت ضغط الهزائم والانكسارات العسكرية التي منيت بها الدولة التركية فقد أجبرت تركيا على أمر التنازل عن جميع حقوق سيادتها في فلسطين؛ وذلك في معاهدة سيفر في ١٠ آب ١٩٢٠م ١٣٣٨ هـ . ثم في معاهدة لوزان المبرمة في ٢٤ تموز ١٩٢٣م ١٣٤١ هـ والتي تم بموجبها تنازل تركيا الحديثة عن كل مالها من حقوق السيادة على كل الأقاليم الواقعة خارج حدود تركيا، كما حددتها المعاهدة المذكورة [٢٣].

وعودة الى حدود فلسطين كما جاءت في معاهدة سايكس بيكو في ١٦ أيار ١٩١٦م ١٣٣٤ هـ نجدها حدودا مؤقتة ولم تصل بعد الى حدود فلسطين الفعلية لأن الغرض الأساسي والأول في الاستراتيجية البريطانية والمصالح الصهيونية هو فصل المنطقة عن سورية التي ستأخذها فرنسا في حال انتهاءالحرب الى جانب الحلفاء

(٢٠) انظر أبو بصير (صالح مسعود) : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، دار الفتح للطباعة والنشر ببيروت، ص ٨٦، ٨٧. وقد أخذ هذه المعلومات عن جريدة الأهرام عدد ١٩ و ٢٤ نيسان من عام ١٩٢٠م.

(٢١)

(٢٢) انظر د. أنيس ود. حراز ، المرجع السابق ، ص ٤٤١ .

(٢٣) انظر فاضل حسين : مؤتمر لوزان وآثاره في البلاد العربية، ما بعد ص ١٢ .

ولهذا السبب لم يتم التركيز في المناقشات على تفصيلات الحدود وجزئياتها بقدر ما اهتم أولا بجعل فلسطين منطقة غير مرتبطة بالكيان الفرنسي.

ولهذا جاءت حدود فلسطين حدودا هامشية من حيث المبدأ، إلاّ أنها ستأخذ وضعا طبيعياً فيما بعد بعد جولة من المباحثات الطويلة التي تناقش التفاصيل والجزئيات بعد أن فرغ المناقشون من إقرار المبدأ الأساسي وهو مبدأ استقلالية هذا الجزء عن بلاد الشام.

ولهذا نجد حدود فلسطين كما رسمتها معاهدة سايكس بيكو غير واضحة المعالم في كل من جهة الشمال والجنوب. وإذا كان الأمر أيسر من ناحية الجنوب على اعتبار أن المنطقة الجنوبية ستكون ضمن الخريطة البريطانية، إلاّ أن الصعوبة الحقيقية تركزت في الشمال على الحدود اللبنانية السورية؛ لأن هذه المنطقة ستكون ضمن الخريطة الفرنسية. (٢٤)

وتأسيسا على ذلك فكانت حدود فلسطين الشمالية تبدأ من رأس الناقورة على البحر المتوسط في الشمال إلى بحيرة طبرية وقرية سمخ في جنوبها مباشرة. ومن الشرق فقد اعتبرت الحدود هي الخط الواصل بين بحيرة طبرية والبحر الميت. ومن الجنوب حددت الحدود بخط ممتد من البحر الميت مارا بين مدينتي الخليل وبئر السبع إلا أنه أميل إلى جهة مدينة الخليل. ويسير هذا الخط إلى ما بين مدينتي غزة ورفح على ساحل البحر المتوسط من ناحية الجنوب. وبهذا الإجراء تكون بريطانيا قد حققت عدة أهداف استراتيجية منها(٢٥):

- انها حصلت على خليج عكا التي كانت ترى فيه منفذا لها إلى العراق.
- حمت مصالحها في القناة ومصر وبالتالي حمت مواصلاتها الأمبراطورية المتجهة نحو الشرق.
- كسبت الصهيونية العالمية وتأثيرها العالمي بخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، وبذلك

---

(٢٤) انظر خريطة شكل (٥) وهي محددة بما تم الاتفاق عليه في معاهدة سايكس بيكو. ارجع الى «خريطة تقسيم سورية والعراق حسب اتفاقية سايكس بيكو سنة ١٩١٦م» التي وردت في كتاب «يقظة العرب» لمؤلفه جورج انطونيوس. ارجع كذلك الى الخريطة التي أوردها كتاب «ملف وثائق فلسطين» الجزء الأول، وزارة الإرشاد القومي بالقاهرة. وارجع كذلك الى «أطلس الصراع العربي الصهيوني» إعداد مازن البندك والدكتورة خيرية قاسمية، طبع دار القدس بيروت.

(٢٥) د. راشد (زينب عصمت) وآخرون: الصهيونية دراسة تاريخية وفكرية، مطبعة الجيلاوى ١٩٧٥م ص ١٢٣. وكذلك التريكي: هذه فلسطين ص ٩٤.

تكون قد كسبت المال الصهيوني عندما أبدت استعدادها لتحقيق مطامع الصهيونية في فلسطين.

- استطاعت أن تحافظ على جعل الاتجاه الصهيوني ضمن دائرتها، وبذلك تكون قد أبعدته عن دائرة دول الوسط ومسار الثورة البلشفية في روسيا.
- كسبت الثقل الصهيوني في بريطانيا .
- أظهرت إلى العالم أنها تعمل لخدمة الإنسانية عندما تنقل يهود العالم إلى فلسطين عن طريق تسهيل هجرتهم إليها ومساعدتهم في إيجاد وطن قومي لهم فيها، وبالتالي قيام الدولة اليهودية.

وإذا انتقلنا من الفكرة إلى حيز العمل والتطبيق نجد أن بريطانيا هي الحليفة الطبعيه للصهيونية وهي التي اعتمد عليها الصهاينة في تنفيذ مخططاتهم العريضة في فلسطين، ويعود ذلك لأن مصالح بريطانيا والصهيونية في الشرق الأوسط مصالح متوافقة. وهذا ما وضحه الدكتور/ وايزمان في مذكراته عندما قال «الدول الكبرى التي كان في استطاعتها مساعدتنا فهي ألمانيا وبريطانيا... أما ألمانيا فرفضت كل تدخل، وأما بريطانيا فقد أبدت كل عطف وعناية»[٢٦]. وقال هرتزل في المؤتمر السادس الذي عقد في «بال» بسويسرة والذي ضم ممثلي يهود العالم «إن بريطانيا... وبريطانيا وحدها بين دول الأرض... كانت هي الوحيدة التي اعترفت باليهود كأمة قائمة الذات ومنفصلة عن غيرها.... ولما ذهبت الى بريطانيا رأيت من العطف على أمانينا ما جعلني أنتقل الى هناك كمدرس في جامعة مانشستر عام ١٩٠٤م ١٣٢٢ هـ . وهناك عملت ولا أزال أعمل حتى حصلنا على ما حصلنا عليه... وليس من شك في أننا وجدنا في عالم السياسة البريطانية موجة عالية جدا وقوية جدا من العطف علينا وعلى أمانينا في فلسطين»[٢٧].

وقد تمخض عن هذا كله وعد بلفور الذى تعهدت فيه بريطانيا إلى اللورد روتشيلد ويهود العالم في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧م ١٣٣٦ هـ الى «أن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية. على أن يفهم جليا أنه لن يؤت بعمل من شأنه أن ينقص من

(٢٦) من مذكرات وايزمان .

(٢٧) التريكي ، هذه فلسطين ص ٦٣ .

الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى. وسأكون ممتنا إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علما بهذا التصريح».

وبعد صدور وعد بلفور بدأت مشروعات الصهيونية في شأن حدود الدولة اليهودية المرتقبة تأخذ طابعا عمليا وأخذت المخططات تأخذ الطابع الرسمي حين قدمت على شكل تذكرة إلى المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح بباريس عن طريق وفد صهيوني يمثل المنظمة الصهيونية في ٣ شباط ١٩١٩م ١٣٣٧ هـ[٢٨] .

وجاء في المذكرة المذكورة خريطة تبين حدود الدولة اليهودية كما تصورها زعماء الصهيونية عام ١٩١٩م ١٣٣٧ هـ مشيرين بذلك الى «الحقوق التاريخية لليهود في فلسطين» وتوضح الخريطة أن الحدود المطلوبة لليهود في فلسطين هي: جنوب لبنان وجبل الشيخ وشرقي الأردن والعقبة. وتمتد الخريطة المقترحة من الشمال من مدينة صيدا ثم يتجه خط الحدود الى الشرق ويشمل جبل الشيخ ثم يتجه خط الحدود نحو الجنوب الشرقي فيضم كثيرا من الأرض السورية كجبل الشيخ ومنطقة القنيطرة. ثم يتجه الخط نحو الجنوب بشكل يوازى خط سكة حديد الحجاز مارا بالقرب من درعا وعمان ومعان حتى يصل الى مدينة العقبة على رأس البحر الأحمر. ثم يتجه الخط الحدودى على شكل ضلع مثلث مع حدود سيناء حتى مدينة رفح على البحر المتوسط[٢٩] .

ويلاحظ على هذه الخريطة اتساع رقعتها إذا ما قيست برقعة خريطة فلسطين في معاهدة سايكس بيكو. والواقع أن هذه الخريطة لا تمثل كل أطماع الصهيونية التوسعية؛ وإنما هي خطوة من خطوات التوسع التي تراود زعماء الصهيونية بين الفينة والفينة معتمدين على استغلال الأوضاع استغلالا حسنا لجانبهم.

ويلاحظ من عنوان المذكرة التي رفعت الى مؤتمر السلام عام ١٩١٩م ١٣٣٧ هـ بأنها تعتمد كليا على ادعاءات دينية وتاريخية، معتمدين في مطالبهم الحدودية هذه على عبارات

(٢٨) أعد المذكرة الدكتور وايزمان وسكولوف ويوششكين وأندريه سبير. انظر التفاصيل في كتاب «فلسطين بين عصبة الأمم والأمم المتحدة» لعلي محمد علي.

(٢٩) انظر خريطة شكل (٦) وهي مأخوذة من كتاب «ملف وثائق فلسطين» ص ٢٤٥.

وتسميات ومسميات ذكرت في التوراة وغيرها من الكتب المقدسة لديهم.

ومن هنا نلاحظ أن مبدأ تغيير حدود فلسطين قام في هذه الخريطة على أساسات دينية وعاطفية وتاريخية لدعم العوامل الأخرى التى تصبو اليها الصهيونية، تلك العوامل أو الدوافع المتمثلة بالجانب الاقتصادى الذى هو شريان الدولة الموعودة والمرتقبة.

ومما يفسر لنا الدافع الاقتصادى في مبدأ الحدود المقترحة مدى اتساع الخريطة من حيث شموليتها لكثير من الأنهار وروافدها وأوديتها من جهة[٣٠] واحتوائها على الأرض ذات التربة الصالحة لنشوء المستوطنات الزراعية فيها من جهة أخرى.

وكان تفكير الصهاينة في مسألة المياه تفكيرا جديا؛ بل وكان هذا التفكير يشكل الجزء الأكبر من مناقشاتهم منذ نشوء الصهيونية كحركة سياسية. كما احتلت مسألة المياه جزءا كبيرا من مؤلفات الصهاينة وفي مذكرات زعمائها ومشروعاتهم ومقترحاتهم المستقبلية[٣١].

ومن هنا نلاحظ أن الخريطة المقترحة لفلسطين جاءت لترضي غرور الجناح المتدين داخل الحركة الصهيونية. وجاءت الخريطة لتوضح التعبير الرسمي عن المعايير الدينية والتاريخية لهذا الجناح. ونجدها كذلك مصممة على أساس أنها تفي بالكثير من الأغراض الاستراتيجية والمقاييس الاقتصادية التي هي من أهم مقومات الدولة الحديثة. وهذا يفسره لنا ما جاء في تقرير لجنة الخبراء الأمريكية المقدم الى الرئيس ويلسون في ١٢ كانون ثاني ١٩١٩م ١٣٣٧ هـ حين يقول «... وسوف تبسط الدولة الجديدة (في فلسطين) سيطرتها على مصادرها الخاصة للطاقة المائية والرى، وعلى جبل الشيخ الى الشرق من نهر الأردن. وهذه ناحية بالغة الأهمية إذ يتوقف نجاح الدولة الجديدة على امكانات التطور الزراعي ومجالاته».

ومما يلاحظ على الحدود المقترحة في خريطة المشروع الصهيوني لعام ١٩١٩م ١٣٣٧ هـ أنها قامت في أساسها على افتراضات وتوقعات وتخمينات وتصورات للأماكن التي ذكرت في الكتب القديمة المقدسة وغيرها. وحتى يومنا هذا فإن الكثير من الأماكن التي جاء ذكرها في التوراة أو غيرها مازالت غير محققة أو حتى على الأقل شبه معروفة، وإنما هي مازالت محض

(٣٠) تضم الخريطة المقترحة الأنهار: حاصبيا وبانياس واليرموك وجانوت والزرقاء والأردن.

(٣١) تعطي مثالا على ذلك كتاب «سياسة الأرض في فلسطين» لمؤلفه غرانوفسكي.

تصور وافتراض، ومازالت تخضع لمبدأ المناقشة والجدل، بخاصة تلك الأسماء التي لم يعثر لها على مصدر أثرى أو تاريخي محسوس، وإنما ظلت هذه الأسماء غير معروفة الموضع، وأن كل ما ذكر في شأنها ما هو إلا من قبيل الاجتهاد الفردى، وأحيانا الاجتهاد الفردى المبني على التعصب في سبيل تطبيق هدف معين. وخير دليل على هذا النوع ما جاء به الحاخام صموئيل ازاكس في كتاب «الحدود الحقيقية للأرض المقدسة» سنة ١٩١٧م ١٣٣٦ هـ [٣٢].

وكان مشروع الحدود المقترح من قبل الصهيونية والمقدم الى مؤتمر السلام في باريس بمثابة ضغط على المتفاوضين لاجبارهم على تغيير حدود فلسطين كما رسمتها معاهدة سايكس بيكو عام ١٩١٦م ١٣٣٤ هـ . وتحت هذا الضغط الصهيوني المتواطئ مع بريطانيا تغيرت حدود فلسطين الشمالية لصالح الصهيونية.

وقد توصل المتفاوضون من الانكليز والفرنسيين الى وضع تسوية مؤقتة لحدود فلسطين عام ١٩١٩م ١٣٣٧ هـ جاءت في اتفاق تم بين لويد جورج وكلمنصو. فصارت حدود فلسطين في الشمال تمتد من رأس النافورة الى شمال بحيرة طبرية وتكون الحدود الجديدة لفلسطين قد ضمت بحيرة طبرية الى الخريطة الفلسطينية الجديدة.

ولم تتوقف مفاوضات الحدود؛ بل استمرت دائما تحت ضغط من الصهيونية أدت المفاوضات الجديدة الى تعديل جديد في الحدود الشمالية لفلسطين فصار خط الحدود الشمالي يمتد من رأس النافورة ثم يتجه الى الشرق حتى يصل الى قرب بحيرة الحولة. ثم يتجه خط الحدود الى الشمال بشكل مستقيم وعلى طول ٢٥ كم الى نهر الحاصباني. ثم يتجه خط الحدود شرقا حتى بانياس وبركة رام. ثم يتجه خط الحدود الى الجنوب على شكل خط مستقيم يمر من وسط بحيرة طبرية حتى يصل الى سمخ [٣٣].

وإذا نظرنا إلى الحدود الشمالية الجديدة نجد أنها أصبحت تضم منطقة الجليل الأعلى وشريطا من الأرض ممتدا في الشمال عرضه لا يتجاوز ١٢ كم.

---

(٣٢) انظر: رزق «أسعد»: إسرائيل الكبرى. انظر كذلك الخريطة التي يطالب بها ازاكس (شكل ٦).

(٣٣) د. الشريف (عبدالرحمن): ما طرأ على حدود فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى، بحث قدمه الى المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول الذي نظمته كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٩٧٩م ص ١١.

ويلاحظ من التعديل الجديد في الحدود الشمالية للخريطة الفلسطينية أن الغرض الرئيسي منه هو ضم جزء كبير من مياه نهر الأردن للأغراض الزراعية ليكون عاملا مساعدا في تأسيس المستعمرات الصهيونية القائمة على الزراعة وهذا بدوره يدعم كيان الدولة الصهيونية المزمع قيامها في الوقت المناسب بعد أن تكون الظروف سانحة لقيامها.

ويلاحظ كذلك أن المساحة المعدلة في الحدود لا تزيد على ١٠٠٠ كم٢ من الشمال. على الرغم من أن هذه المساحة قليلة وصغيرة.. إلا أنها ذات شأن كبير جدا لأنها تعطي الصهيونية فرصة السيطرة على معظم موارد مياه نهر الأردن التي تشكل الجزء الأكبر من مياه الأرض الفلسطينية المضمومة في الخريطة المقترحة. والمعروف أن المنطقة الشمالية تحوى دائما فائضاً من الماء عن احتياجاتها[٣٤].

وهناك هدف اقتصادى مستقبلى للافادة من الماء الفائض عن المنطقة الشمالية في جره الى منطقة النقب في جنوب فلسطين وجعلها منطقة زراعية مروية مما يساعد في تثبيت جذور المستوطنات الصهيونية فيها. وهكذا بدوره يساعد على استيعاب أكبر عدد ممكن من يهود العالم، وهذا بدوره يقوى الدولة الصهيونية.

ومن هنا نلاحظ أن السبب الرئيس في تغيير الحدود في هذه الخريطة يعود الى أساس اقتصادى في المقام الأول هدفه دعم كيان الدولة اليهودية في فلسطين على حساب البلدان العربية المجاورة، وعلى أساس ديني وهو ضم بلدة «دان» التي يرد ذكرها في التوراة، ونبع اللذان وهو هام دينيا واقتصاديا وكلا الموقعين يقع في الزاوية الشمالية الشرقية من الحدود التي ضمت الى الخريطة الجديدة وفي أقصى الشمال مما يدل على أن الهدف من التغيير انما كان هذين الموقعين. وهكذا تكون الصهيونية قد أفادت من هذا التغيير فكأنها صادت عصفورين بحجر واحد. فاستغلت التعديلات الدينية لكسب عاطفة أتباعها بخاصة الجناح المتـدين

(٣٤) علي (محمد علي) : أسرائيل والشرق الأوسط : الدار القومية للطباعة والنشر ص ٢٩٥.
يسمى نهر الأردن قبل دخوله الى بحيرة طبرية بالشريعة. ويتألف نهر الشريعة من روافد ثلاثة هي: بانياس والحاصباني والدان. ويطلق على النهر الممتد من مخارج بحيرة طبرية حتى مصبه في البحر الميت اسم نهر الأردن. وطوله في حدود ١٩٤ كم وروافده: اليرموك والزرقاء وجالوت. انظر: علي محمد علي: اسرائيل والشرق الأوسط ص ٢٩١.

منهم. وتكون كذلك قد سخرت المطالب الدينية لخدمة الغايات الاستراتيجية التي تقوم عليها الدولة؛ بخاصة الأهداف الاقتصادية الملحة التي من شأنها أن تخدم الدولة الصهيونية المزمع قيامها في فلسطين، لأن نجاحها يتوقف «على امكانات التطور الزراعي ومجالاته»[٣٥].

وإذا ما أردنا رسم الحدود التفصيلية لفلسطين كما حددها الاتفاق الفرنسي البريطاني في ٢٣ كانون أول ١٩٢٠م ١٣٣٨ هـ فهي كالآتي: -

في الشمال مع لبنان :

فقد صار خط الحدود يبدأ من رأس الناقورة[٣٦] على ساحل البحر المتوسط ثم يتجه نحو الشرق مارا بالقرب من قرى: لبونة ويارين ورامية وياروت في الجنوب اللبناني ثم يتجه خط الحدود باتجاه الشمال مع ميل طفيف الى الشرق مارا بقرى فلسطينية متعددة واقعة على هذا الحد مثل: صالحة والمالكية وقدس والمنارة والمطلة وهي أقصى الحدود الشمالية تقريبا. ثم يتجه خط الحدود باتجاه الجنوب الشرقي مارا بالقرب من ابل القمح والسندية الفلسطينيتين. ثم يتجه الخط نحو الشرق مارا بالقرب من تل القاضي ودان الفلسطينيتين.

في الشرق مع الحدود السورية :

يتجه خط الحدود من دان الفلسطينية الى قرب بانياس السورية. ثم يتجه خط الحدود الى الجنوب مع ميل الى الغرب مارا بالقرب من جسر بنات يعقوب الفلسطيني. ثم يواصل سيره باتجاه الجنوب على طول نهر الشريعة حتى بحيرة طبرية إذ يسير خط الحدود حول حدها الشرقي فوق مستوى سطح المياه بعشرة أمتار ارتفع المستوى أم انخفض. ويضم كذلك

---

(٣٥) من تقرير اللجنة الأمريكية المقدم الى الرئيس ويلسون في ١٢ كانون ثاني ١٩١٩م ١٣٣٧ هـ .

(٣٦) يبعد رأس الناقورة حوالي (٢١) كم عن عكا و(٢٤) كم عن صور و(١٠٦) كم عن بيروت. وسمي بذلك نسبة الى قرية الناقورة وجبالها في الأرض اللبنانية. وتبعد قرية الناقورة في حدود (٤) كم عن الحدود الفلسطينية اللبنانية. وتعني الكلمة بالسريانية الثقب. ويذكرها الادريسي وياقوت باسم النواقير.
انظر : الدباغ (مصطفى) : بلادنا فلسطين ، الجزء الأول، القسم الأول، منشورات دار الطليعة، الطليعة الأولى، بيروت ١٣٨٤ هـ/١٩٦٥م ص ١٧، ١٨، ١٩.

شريطا من الأرض حول ساحلها الشرقي، ويبلغ عرضه حوالي (٤) كم[٣٧]. ثم يسير خط الحدود مع نهر اليرموك مسافة (١٥) كم[٣٨]. وهكذا يصل خط الحدود الى محطة الحمة الواقعة على سكة حديد درعا ـ سمخ[٣٩].

في الشرق مع حدود شرقي الأردن :

حدد المندوب السامي البريطاني لفلسطين وشرقي الأردن في مطلع شهر أيلول ١٩٢٢م الحدود الشرقية لفلسطين مع شرق الأردن، فتبدأ الحدود من نقطة اتصال نهر اليرموك بنهر الأردن ثم يتجه الخط الحدودى جنوبا من منتصف مجرى نهر الأردن والبحر الميت ووادى العربة حتى يصل الى ساحل البحر الأحمر وينتهي بساحل العقبة على بعد ميلين من غربها. ويشكل الخط الحدودى الفلسطيني الممتد من جنوب البحر الميت والمنتهي برأس البحر الميت ضلع مثلث يكون رأسه على البحر الأحمر.

في الغرب مع مصر :

فقد حددت الحدود بين فلسطين ومصر بموجب الاتفاقية المعقودة بين الخديوية في مصر والحكومة العثمانية في ١٢ شعبان ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦م الموافق تشرين الأول ١٩٠٦م ١٣٢٤ هـ . فتمتد الحدود من رأس طابا على خليج العقبة الى تل الخرائب في رفح على ساحل البحر المتوسط . ومع أن خط الحدود هذا خط مستقيم سيره وقليل التعاريج. فهو يشكل أيضا الضلع الآخر للمثلث الذى رأسه على البحر الأحمر. ونلاحظ أن خط الحدود مع مصر يسير محاذيا للحدود مع سيناء. ونلاحظ أن هذه الحدود كانت تشكل حدودا ادارية عثمانية بين خديوية مصر وولاية سورية ومتصرفيّة فلسطين.

في الغرب على ساحل البحر المتوسط :

فيمتد خط الحدود من رأس الناقورة في الشمال الى نهاية حدود تل الخرائب في رفح.

---

(٣٧) انظر الحدود في خريطة فسطين التي أصدرتها حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح».

(٣٨) الهيئة العربية العليا لفلسطين: كارثة اغتصاب المياه العربية، أيلول ١٩٦٤م ص ٣ وما بعدها.

(٣٩) الدباغ : المرجع السابق ص ٢٠ .

ويشكل هذا ساحلا بحريا طويلا يصل طوله في حدود (٢٣٠) كم٢ يؤدى لفلسطين خدمة اقتصادية في غاية الأهمية[٤٠].

وتقدر مساحة فلسطين ضمن هذه الحدود حوالى ٢٧٠٠٩ كم٢ بما في ذلك مساحة بحيرتي طبرية والحولة وكذلك نصف مساحة البحر الميت[٤١].

وقد حوت مساحة فلسطين في العهد العثماني عددا من السكان قدر عام ١٩١٤م بـ ٦٨٩٫٢٧٥ نسمة[٤٢].

وقدر عدد سكان فلسطين حسب تقدير الاحصاءات الرسمية عام ١٩٢٠م بـ ٦٧٣٫٠٠٠ نسمة كانوا موزعين حسب دياناتهم ومذاهبهم كالآتي: ـ [٤٣]

٥٢١٫٠٠٠	نسمة	من المسلمين .
٧٨٫٠٠٠	نسمة	من النصارى .
٦٧٫٠٠٠	نسمة	من اليهود .
٧٫٠٠٠	نسمة	من مذاهب أخرى .

وقدر عدد سكان فلسطين حسب احصاء السكان لعام ١٩٢٢م بـ ٧٥٧٫١٨٢ منهم[٤٤].

٥٩٠٫٨٩٠	نسمة	من المسلمين	وهو يعادل ٨٠٪ من مجموع السكان
٨٣٫٧٩٤	نسمة	من اليهود	١٠٪ من مجموع السكان
٧٣٫٠٢٤	نسمة	من النصارى	٨٫٩٪ من مجموع السكان
٧٫٠٢٨	نسمة	دروز	١٪ من مجموع السكان
٠٫٢٥٦	نسمة	من البهائيين	
٠٫١٦٣	نسمة	من السامريين	
٠٫١٥٦	نسمة	من الشيعة	
١٫٨٦٢	نسمة	من فئات أخرى	

(٤٠) انظر الخريطة في آخر البحث .

(٤١) الدباغ : ص ٢٠ .

(٤٢) (٤٣) (٤٤) المرجع السابق لمعرفة السكان واحصاءاتهم . نرجع في ذلك الى: الدباغ: المرجع السابق، ص ٢٣. وكامل محمود خلة: فلسطين والانتداب البريطاني من ١٩٢٢م الى ١٩٣٩م، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت ١٩٧٤م.

ولابد من الاشارة الى أن حدود فلسطين ظلت طيلة عهد الانتداب البريطاني كما هي عليه عام ١٩٢٠م ١٣٣٩ هـ . وبدأت موجة من الهجرة اليهودية الى فلسطين لاستيطانها واقامة المستعمرات الزراعية فيها في ظل سلطة الانتداب البريطاني.

وبدأت بريطانيا تمارس نشاطا استعماريا واضحا وملموسا يرمي الى تنفيذ ما وعدت به الصهيونية وهو انشاء الوطن القومي لليهود في الأراضي الفلسطينية. فوظفت على فلسطين السير هربرت صموئيل كأول مندوب سامي بريطاني عليها[٤٥] كأول حلقة من حلقات الممارسة البريطانية لتنفيذ وعدها للصهيونية.

ثم اتبعت بعد ذلك قوانين تسهيل هجرة اليهود الى فلسطين[٤٦]، وانشاء المستوطنات اليهودية فيها كخطوة من بين الخطوات التي ترى بريطانيا ضرورتها لاقامة الوطن القومي اليهودي. ثم وضعت بريطانيا قوانين جديدة تهدف الى تسهيل نقل ملكية أراضي الدولة الى اليهود وحرمان العرب منها.

وأعطت بريطانيا اليهود في فلسطين العديد من الامتيازات، فعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر امتياز توليد الطاقة الكهربائية. وامتياز استغلال أملاح البحر الميت. وامتياز صناعة الأسمنت. وامتياز صناعة الزيوت النباتية. وحتى تحافظ بريطانيا على انتاج المصانع اليهودية أصدرت القوانين الجمركية التي تحمي الانتاج اليهودي في فلسطين.

وتعاونت بريطانيا تعاونا فعالا مع الوكالة اليهودية واعتبرتها هيئة استشارية[٤٧] تعاون السلطة البريطانية في إدارة دفة الأمور الاقتصادية والاجتماعية لليهود في فلسطين؛ كي يساعد

---

(٤٥) عينت بريطانيا السير هربرت صموئيل المواطن الانكليزي اليهودي الصهيوني المولود في مدينة ليفربول عام ١٨٧٠م ١٢٨٧ هـ أول مندوب سامي لها في فلسطين. وقد شغل هربرت صموئيل منصب وزير المواصلات في الحكومة الانكليزية عام ١٩١٥م ١٣٣٣ هـ . ثم وزيرا للداخلية عام ١٩١٦م ١٣٣٤ هـ . يقول عنه وايزمان: «ان هربرت صموئيل نتاج يهوديتنا ونحن الذين عيناه مندوبا ساميا في فلسطين لينفذ مخططات الصهيونية». انظر حسين التريكي: هذه فلسطين، ص ١٢١.

(٤٦) زعيتر (أكرم) : القضية الفلسطينية، دار المعارف بمصر ١٩٥٥م .

(٤٧) من مقال للدكتور/ عبدالرحمن الشريف بعنوان : ما طرأ على حدود فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى من بحوث المؤتمر الجغرافي الاسلامي الأول الذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٩٧٩م ١٣٩٩ هـ .

ذلك في انشاء الوطن القومي اليهودى وبالتالي قيام الدولة اليهودية فيها بعد أن تصبح الفرصة مواتية لقيامها.

ومما يلفت النظر أن المادة الثانية من مواد صك الانتداب تنص بشكل صريح على أن «الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل البلاد في أحوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي وترقية أنظمة الحكم الذاتي وضمان الحقوق المدنية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس والدين»[٤٨].

وهكذا نلاحظ أن الدولة البريطانية كانت قد نفذت ما ورد في هذه المادة لصالح اليهود لا لصالح العرب من المسلمين والنصارى؛ لأن هدفها الرئيس هو اتمام قيام الدولة اليهودية في فلسطين في الوقت نفسه الذي ينتهي فيه انتدابها عليها.

التقسيمات التي طرأت على الخريطة الفلسطينية :

في واقع الأمر إننا لا نستطيع أن نغفل أمرا هاما في دراستنا لحدود خريطة فلسطين والدوافع الرئيسة فى ذلك، وهو ما طرأ على خريطة فلسطين من تقسيم كان مرده يعود الى ظروف وعوامل طرأت على الساحة، وهي في ذاتها امتداد طبعي للأوضاع السائدة في ظل مخططات الصهيونية والاستعمار ومشروع الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

فظهرت بوادر تشير الى تقسيم الخريطة الفلسطينية بناء على مشروع قدمته اللجنة الملكية البريطانية في تموز ١٩٣٧م ١٣٥٦ هـ ، تلك اللجنة التي تسمى بلجنة بيل والتي قدمت الى فلسطين للتحقيق في أسباب تأزم الأوضاع الفلسطينية بعد اندلاع ثورة الفلسطينيين عام ١٩٣٦م ١٣٥٥ هـ .

فقد جاءت لجنة بيل الى فلسطين بعد أن أعلنت اللجنة العربية العليا قرارها «بدعوة الأمة العربية الكريمة في فلسطين للاخلاد الى السكينة وانهاء الاضراب والاضطرابات ابتداء من ١٢ تشرين الأول ١٩٣٦م ١٣٥٥ هـ» بعد أن ناشد ملوك العرب الشعب العربي

(٤٨) د . أنيس ، د . حراز : المرجع السابق ، ص ٥٣٦ .

الفلسطيني (الأحلاد الى السكينه حقناً للدماء) معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل[٤٩]. وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم[٥٠].

وقد انيطت بهذه اللجنة الصلاحيات التالية : -

«التثبت من الأسباب الأساسية للاضطرابات التي نشبت في فلسطين في أواسط شهر نيسان ١٩٣٦م والتحقيق في كيفية تنفيذ صك الانتداب على فلسطين بالنسبة لالتزامات الدولة المنتدبة نحو العرب ونحو اليهود، والتثبت بعد تفسير نصوص الانتداب تفسيرا صحيحا، فيما إذا كان لدى العرب أو لدى اليهود أية ظلامات مشروعة ناجمة عن الطريقة التي اتبعت فيما مضى أو التي تتبع الآن في تنفيذ الانتداب والقيام لدى اقتناعها باستناد أية ظلامة من هذه الظلامات الى أساس صحيح، يرفع التواصي لازالة تلك الظلامات ومنع تكرارها»[٥١].

وقد تقدمت اللجنة المذكورة بمشروع يقضي بتقسيم فلسطين وتجزئة الخريطة الفلسطينية الى مناطق ثلاث تنشأ فيها دولتان إحداهما لليهود والثانية للعرب الفلسطينيين. وتنشأ منطقة دولية توضع من جديد تحت انتداب بريطاني جديد[٥٢].

والجديد في التقسيم هو قيام دولة يهودية ذات سيادة في منطقة معينة من فلسطين، وهذا هو بداية التطبيق العملي لوعد بلفور. وقد راعى التقسيم أن تكون موارد المياه الشمالية بيد اليهود وذلك لضمان وجود دولتهم المبني على أمر طبعي وهو ضمان المورد الاقتصادى القائم على أساس المياه والزراعة، وهذا أمر حيوى جدا لقيام الدولة الحديثة النامية في مثل هذه المنطقة.

ومن جهة أخرى : فقد حرص أعضاء اللجنة على مراعاة الشعور الديني لليهود عندما

---

(٤٩) معلومات وردت في أطلس الصراع العربي الصهيوني ، إعداد مازن البندك والمادة التاريخية من إعداد د. خيرية قاسمية، مطابع دار القدس، بيروت ص ٢٥.

(٥٠) د . طربين : محاضرات في تاريخ قضية فلسطين، القاهرة ١٩٥٨م، ص ١٨٦.

(٥١) وثيقة رقم ٣٣ من الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين، المجموعة الأولى ١٩١٥م ١٣٣٣ هـ الى ١٩٤٦م ١٣٦٦ هـ التي أصدرتها الأمانة العامة بجامعة الدول العربية، إدارة فلسطين، الشعبة السياسية، ص ٢٠٣. وقد نقلت الوثيقة عن كراس أصدرته حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين باللغة العربية في ٧ حزيران ١٩٣٧م.

(٥٢) انظر الخريطة في آخر البحث رقم (٩) .

أعلنوا أن حدود الدولة اليهودية في المشروع يجب أن تدخل فيها أراضي الجليل الجبلية الواقعة بين صفد وسهل عكا؛ لا لشيء؛ وانما لأن هذا القسم من فلسطين كما يدعى اليهود وتزعم اللجنة هو «الجزء الذى احتفظ اليهود بمقام لهم فيه منذ بدء نشئتهم حتى هذا اليوم بدون انقطاع تقريبا ان لم يكن باتصال، وعواطف اليهود العالمية بأجمعها متعلقة كل التعلق بمدينتي صفد وطبرية (المقدستين)[٥٣].

وقد أوصى المشروع أن ترتبط الدولة اليهودية مع بريطانيا بمعاهدة على نمط المعاهدة البريطانية الموقعة مع العراق. وهذا أمر في غاية الضرورة لأن توسع الدولة اليهودية المزمع قيامها، وبالتالي تقويتها لا يمكن أن يتم بمعزل عن بريطانيا وسياستها في المنطقة. وهذا أمر ضرورى وملح في الاستراتيجية البريطانية.

والعجيب حقا في هذا المشروع أن عدد العرب في القسم اليهودى يشكل نحو نصف سكانه. كما أن مساحة الأرض العربية فيه تساوى ثلاثة أضعاف الأرض اليهودية فيه. أضف الى هذا وذاك... فان الدولة اليهودية تسيطر على ساحل طويل من حوض البحر المتوسط وعلى أعمق ميناء في فلسطين وهو ميناء مدينة حيفا. وهكذا فان التقسيم سيؤمن وطنا قوميا يهوديا... يتحول الى دولة يهودية لها السيطرة الكاملة على الهجرة... وينتهي اليهود من الحياة كأقلية وبذلك يتحقق هدف الصهيونية[٥٤].

أما عن المنطقة العربية فهي تضم القسم الأوسط والجنوبي من فلسطين. وهي في معظمها بخاصة القسم الجنوبي أرض لا تتوافر فيها مقومات الزراعة لندرة المياه أولا ولضعف خصوبة التربة ثانيا؛ هذا الى جانب عدم تقدم استخدام الآلة والأساليب الحديثة في الزراعة وقتذاك. ومما يزيد في فقرها الاقتصادى انسلاخ المنطقة المقدسة عنها، إذ أن هذه المنطقة تعطي السكان موردا اقتصاديا سنويا بفضل الزيارات للأراضي المقدسة في فلسطين.

وهكذا نلاحظ أن هذه المنطقة قد حرمت من موارد المياه ثم من طبيعة الأرض ذات التربة الخصبة ثم المدن المقدسة حتى المدن المقدسة الاسلامية. أضف الى هذا كله أن نشأة هذه

---

(٥٣) من وثيقة رقم (٣٣) من الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين .

(٥٤) ارجع الى خلاصة تقرير اللجنة الملكية لفلسطين في ٧ تموز سنة ١٩٣٧م. وثيقة رقم (٣٣) من الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين.

الدولة ستكون نشأة ضعيفة وفقيرة. وقد أوصت اللجنة كذلك بضم هذه المنطقة الى شرقي الأردن على أن تشكل مملكة عربية ذات سيادة ترتبط مع بريطانيا على نمط ارتباط العراق بها.

ومنطقة ثالثة تضم الأماكن المقدسة كالقدس وبيت لحم وتأمين الوصول اليها بحرية وطمأنينة لمن شاء من كافة أنحاء العالم؛ لأن تلك الأماكن «أمانة مقدسة في عنق المدنية بأوسع ما في الانتداب من معنى. وهي ليست أمانة شعوب فلسطين فحسب؛ بل أمانة الجماهير الوفيرة في البلاد الأخرى التي تنظر الى أحد هذين المكانين أو كليهما معا كمكانين مقدسين» (٥٥).

وعلى ضوء الحيثيات هذه أوصت اللجنة بتخطيط حد للمنطقة التي تشمل هذين المكانين المقدسين بحيث تمتد حدودهما من منطقة شمال القدس الى نقطة جنوب بيت لحم وأن ييسر لهذه المنطقة أمر الاتصال بالبحر بواسطة ممر يمتد من شمال طريق يافا الرئيسة الى جنوبي السكة الحديدية شاملا مدينتي اللد والرملة ومنتهيا في يافا. وأوصت اللجنة كذلك على وضع هذه المنطقة تحت الانتداب الانلكيزى على أن يكون النقب أو بعضه تحت ادارته (٥٦).

وقد راعت اللجنة عواطف النصارى في العالم عندما أوصت أن الانتداب البريطاني الجديد على هذه المنطقة يجب أن يكون شاملا ـ أيضا ـ للناصرة وبحر الجليل (بحيرة طبرية). فينبغي أن يعهد للدولة المنتدبة بادارة الناصرة وأن تخول السلطة التامة للمحافظة على قداسة حياة بحيرة طبرية وشواطئها. هذا وأوصت اللجنة بضرورة المحافظة على الأوقاف الدينية وعلى الأبنية والمقامات والأماكن الواقعة في أراضي كل الدولتين العربية واليهودية المقدسة لدى العرب واليهود (٥٧).

---

(٥٥) من التقرير نفسه .

(٥٦) من تقرير اللجنة
مما لاشك فيه أن المسلمين هم حماة لكل التراث والمقدسات الدينية السماوية بأمر الإسلام الذى مثل آخر حلقة في سلسلة الوحي السماوي وانما الإسلام يحمل أتباعه مسئولية انسانية عامة. فقد ظلت المقدسات الدينية في فلسطين منذ الوثيقة العمرية (العهدة العمرية) حتى عام ١٩٦٧م في الحفظ والصون، وعاشت البلاد في أرفع صور التسامح.

(٥٧) من تقرير اللجنة .

هذا وهناك توصية أخرى وردت في مشروع اللجنة وهي مسألة اتصال الدولة اليهودية بالبحر الأحمر من أجل الغايات التجارية لأن البحر الأحمر يعدّ المنفذ الى الشرق ويعود بفائدة جزيلة على التجارة والصناعة اليهودية والعربية.

لذا فبناء على ما لهذا الموقع من أهمية ينبغي ترك منطقة خاصة في الجهة الشمالية الشرقية من شاطئ خليج العقبة تحت ادارة الدولة المنتدبة (بريطانية) وأن تضمن المعاهدة العربية نصا يضمن حرية نقل البضائع بين الدولة اليهودية وتلك المنطقة.

وهكذا نلاحظ أن اعتبارات التقسيم هنا جاءت على شكل خليط من المزاعم المبنية على مجموعة المصالح والأهداف والعوامل المؤثرة في التغيير؛ كالعامل السياسي والاستراتيجي من جهة والعامل الديني والعاطفة الانسانية من جهة أخرى. ومع أن العامل الاستراتيجي والسياسي يلعب هنا دورا بارزا ويأتي في المقام الأول في التغيير إلا أن الأمر مهما بلغ لا يمكنه تجاوز الدوافع الدينية والعواطف الأخرى التي تظل تحافظ على استمراريتها ودوامها مهما تفوقت العوامل أو المؤثرات الأخرى. فالدوافع الدينية هي من الدوافع الدائمة التأثير، وهي دائما في موقع مركز الثقل الدائم، والمؤثر في كل زمن وظرف.

وعلى كل حال فان هذا المشروع لم ير النور؛ بل ظل مشروعا من جملة المشروعات المقترحة التي لم تقبل بها الأطراف المعنية عندما يصل الأمر الى تقسيم أرض لا يملكها واضع المشروع وليس لديه أى حق في مثل هذا. وقد صدر بلاغ عن الحكومة البريطانية رقم ٨ ـ ٣٨ في ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٣٨م ١٣٥٧ هـ بالعدول عن مشروع التقسيم وفكرته [٥٨].

وقد أصيبت الخريطة الفلسطينية بخيبة أمل ثانية حينما وافقت أغلبية دول الجمعية العامة في هيئة الأمم المتحدة على قرار تقسيم فلسطين في ٢٩ تشرين الثاني من عام ١٩٤٧م ١٣٦٦ هـ . فجزأ القرار الخريطة الفلسطينية بشكل يختلف عما جاء في مشروع التقسيم لعام ١٩٣٧م. ١٣٥٦ هـ . على الرغم من أن قرار التقسيم عام ١٩٤٨م ١٣٦٧ هـ . لم يغفل المزايا التي حصل عليها اليهود في مشروع تقسيم فلسطين عام ١٩٣٧م ١٣٥٦ هـ . وقد نص قرار التقسيم عام ١٩٤٨م ١٣٦٧ هـ[٥٩] على تجزئة الخريطة الى ثلاث مناطق هي: ـ

---

(٥٨) ارجع الى الوثيقة رقم (٣٦) من الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين، المجموعة الأولى ص ٢٦٤ حتى ٢٦٦.

(٥٩) انظر خريطة تقسيم فلسطين في آخر البحث رقم (١٠) .

المنطقة العربية (الدولة العربية)
المنطقة اليهودية (الدولة اليهودية)
المناطق المقدسة (تحت الوصاية الدولية).

وتشتمل المنطقة العربية على مناطق ثلاث معزولة عن بعضها البعض وهي: منطقة في الجليل الغربي ومنطقة في الهضاب الوسطى والغور الأوسط باستثناء القدس وبيت لحم ومنطقتها على اعتبارها أماكن مقدسة عند ذوى الديانات الثلاث: الاسلام والنصرانية واليهودية ومنطقة ساحلية تمتد من جنوب أسدود حتى الحدود الفلسطينية المصرية على ساحل البحر المتوسط (٦٠).

وقد وصلت مساحة هذا الجزء من الخريطة الفلسطينية الى ١٢٫٠٠٠ كم٢. وتشكل هذه المساحة نسبة ٤٤٫٤٪ من مساحة فلسطين الكلية. ويسكن هذه المنطقة ٦٥٠٫٠٠٠ نسمة من العرب و ١١٫٠٠٠ نسمة من اليهود. وأن مساحة الأرض التي يمتلكها اليهود في المنطقة العربية لا تزيد على ١٠٠ كم٢ من أصل ١٢٫٠٠٠ كم٢ (٦١).

أما المنطقة اليهودية فتشتمل على أرض تمتد في أقصى شمال فلسطين وفي أقصى جنوبها. وهي بطبيعة تصميمها تشكل سياجا يحاصر المنطقة العربية بأكملها. وتبلغ مساحتها (١٤٫٢٠٠ كم٢ أى: بنسبة ٥٣٪ من مساحة فلسطين الكلية آنذاك. ويملك العرب ثلثي هذه المساحة، كما أن نسبتهم من حيث العدد السكاني في هذه المنطقة تصل الى ٤٦٫٥٪ (٦٢).

أما المنطقة المقدسة فقد حددت بمنطقة القدس وبيت لحم، وهي تأتي في وسط المنطقة العربية الجبلية. ويسكنها من العرب في حدود ١٥٠٫٠٠٠ نسمة ومن اليهود في حدود ١٠٠٫٠٠٠ نسمة. وتكون المنطقة خاضعة لوصاية دولية.

وإذا أمعنا النظر في خريطة فلسطين على ضوء هذا التقسيم نلاحظ عليها عدة أمور تلفت النظر من جهة وتستحق الدراسة من جهة أخرى.

فالغريب حقا في هذا التقسيم غير المحق لا من الناحية القانونية ولا من الناحية

(٦٠) و (٦١) و (٦٢) د. الشريف (عبدالرحمن) : المرجع السابق.

الانسانية الأخلاقية جعل مساحة المنطقة اليهودية أكبر من مساحة المنطقة العربية بنسبة لا تقل عن ٦ر٨٪.

ومن هنا كان هذا التقسيم مجرد توزيع مناطق تتفق مع مصلحة الجانب اليهودي قدر المستطاع وبشكل يتناسب مع الظروف الحاضرة التي تلازم التقسيم وتعايش مخططات الصهيونية والاستعمار؛ لأن التقسيم أمر فرض فرضا حتى أن الدول التي أيدته كان معظمها قد خضع الى التهديد الأمريكي(٦٣). وأن العرب أصحاب الحق في الأرض رفضوا قرار التقسيم باعتباره يتنافى مع حقوقهم المشروعة ومع روح العدالة ومبادئ حق الشعوب في تقرير مصيرها.

وفي حكم المؤكد فان زعماء الصهيونية ومن لف لفهم من السياسيين كانوا مقتنعين بأن العرب سيرفضون التقسيم، لذا يمكن اعتبار ذلك حقا من حقوقهم التي وهبتها لهم أصوات أغلبية دول هيئة الأمم المتحدة. وفي هذا الاجراء وسيلة أولى لاعلان الدولة اليهودية رسميا في المنطقة التي حددتها لهم الهيئة، يتبعه اجراءات تعسفية أخرى تعمل على اغتصاب كل الأرض الفلسطينية بكل الطرق والوسائل والأساليب التي تراها الصهيونية مناسبة للتنفيذ.

وقد حقق التقسيم الأهداف الأولى للصهيونية حين راعى مشروعية قيام الدولة اليهودية التي تمتلك المياه الأكثر والأرض الصالحة للزراعة والساحل البحرى الطويل المطل على البحر المتوسط والأرض الواسعة المتصلة برأس البحر الأحمر على خليج العقبة والحدود البرية ذات الاتصال بالأرض السورية واللبنانية والأردنية والمصرية مما يسهل في حرية امتدادها في المستقبل كلما رأت الصهيونية فرصة سانحة للامتداد والتوسع في الأرض المجاورة على حساب الدول العربية المجاورة.

وقد راعى التقسيم أن يحصل اليهود على ميناء حيفا وهو أعمق ميناء في فلسطين، فيكون بذلك من أفضل الموانئ التي تصلح لرسو السفن المحملة بالبضائع، وهذا يعطي للمنطقة ميزة تجارية خاصة لأنها ستكون بؤرة التجمع التجارى في فلسطين. وكانت بريطانيا قد أعارت

---

(٦٣) لمعرفة مدى الضغط الأمريكي على الدول الأخرى في شأن هذا الموضوع المرجع الى. ليلينتال (الفرد) : ثمن اسرائيل، ترجمة حبيب نحولي وياسر هوارى، كتاب الملايين.

اهتماما شديدا لميناء حيفا وخليج عكا في معاهدة سايكس بيكو[٦٤]؛ كي يؤدى مجموعة أغراض استراتيجية منها الغرض التجارى.

وفي ليلة ١٥ أيار ١٩٤٨م ١٣٦٧ هـ أعلن الصهاينة قيام دولة اسرائيل في الأرض التي احتلوها بعد حرب عام ١٩٤٨م ١٣٦٧ هـ ؛ بعد أن طرد سكانها العرب تحت ضغط القوة والسلاح وأساليب الخداع، وبفضل ما قدمته بريطانيا للصهيونية من وسائل كانت كفيلة لاقامة الدولة اليهودية التي ظلت مرتقبة الى أن حقق الصهاينة ذلك عام ١٩٤٨م ١٣٦٨ هـ .

وعلى أثر الحرب عام ١٩٤٨م ١٣٦٨ هـ تجزأت خريطة فلسطين الى: [٦٥]
جزء تحت السيطرة الصهيونية (الجزء المحتل)
جزء ضم الى الأردن
جزء تبع السيادة المصرية (قطاع غزة) .

وقد رسمت معاهدة رودس حدود الهدنة بين الدولة اليهودية (اسرائيل) وبين الدول العربية في تموز من عام ١٩٤٩م ١٣٦٩ هـ . وظلت اسرائيل تدعي مؤقتا أن هذه الحدود هي حدودها السياسية في هذه المرحلة، وهي بدورها تعد لتنفيذ مخطط توسعي جديد بعد أن تكون قد ثبتت نفوذها وبسطت سيادتها على المنطقة التي احتلتها عام ١٩٤٨م ١٣٦٨ هـ . ومن هنا بدأت اسرائيل تقنع دول العالم بأن حدود الهدنة هي حدها السياسي في أرض تصل مساحتها الى حوالي ٢٠٫٧٠٠ كم^2 وهي مساحة تزيد كثيرا على المساحة التي قدمتها لها هيئة الأمم في قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م ١٣٦٦ هـ .

كما أن اسرائيل أفادت كثيرا من دعم الدول الكبرى لها. فصدر تصريح ثلاثي عن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانية وفرنسا في آيار من عام ١٩٥٠م ١٣٦٩ هـ . تقضي بضرورة محافظة هذه الدول مجتمعة على حدود اسرائيل كما رسمتها هدنة عام ١٩٤٩م ١٣٦٩ هـ . وأن الدول المذكورة ستتدخل لحماية هذه الحدود حال استخدام القوة.

زد على هذا كله فقد أخذت اسرائيل بعد توقيع خطوط الهدنة تتوسع تدريجيا في الأراضي

(٦٤) انطونيوس : يقظة العرب ص ٣٥١ .
(٦٥) انظر الشكل رقم (١١) .

الفلسطينية المنزوعة السلاح. وزادت اعتداءات الجيش الاسرائيلي على الأراضي العربية في الدول المواجهة لاسرائيل. وقد ظلت اسرائيل تقتطع الأراضي الفلسطينية تدريجيا حتى وصلت مساحة ما احتلته من أرض فلسطين الى ٧٦٪ من مساحة فلسطين(٦٦) قبل اندلاع حرب عام ١٩٦٧م ١٣٨٧ هـ .

وفي أعقاب حرب عام ١٩٥٦م ١٣٧٩ هـ استطاعت اسرائيل أن تؤمن لها منفذا تجاريا هاما حين فتح أمامها خليج العقبة. وبهذا الاجراء تمكنت اسرائيل من الاتصال ببلاد شرق آسيا وبلاد شرق افريقية وأمنت كذلك عملية استيراد البترول الايراني.

وأخذت اسرائيل منذ تكوينها كدولة تعمل على كسب عطف الدول عن طريق وسائل الاعلام المتعددة فيها والتي في معظمها لا تخلو من أصابع مسخرة لخدمة الصهيونية العالمية وحركتها السياسية، دولة اسرائيل.

وهكذا تضافرت جهود الصهيونية في تدعيم الخريطة السياسية التي بسطوا نفوذهم عليها بالقوة العسكرية وبتأييد معظم الدول التي شاركت وتشارك في قيامها ودعمها وتنفيذ أطماعها التوسعية المرحلية.

وعلى هذا الأساس فدوافع تجزئة الخريطة الفلسطينية الى وحدات داخلية، ثم توزيع هذه الوحدات بين سكان متجانسين؛ بل ان جماعة منهم مغتصبين، وأصولهم وثقافاتهم تختلف تماما في أصلها ومحتواها عن موجودات ما في فلسطين وما ورثه سكانه الأصليون منه من ثقافة وحضارة وبيئة وغير ذلك، كل هذا يجرنا الى الاقتناع بأن التجزئة وما يترتب عليها هي أسلوب في حد ذاته خاطىء لأنه قائم على أساس غير منطقي وكان بالضرورة لا يمكن حدوثه لولا وجود الدوافع السياسية التي ترمي الى قيام دولة يهودية في أرض فلسطين دون حق مشروع في ذلك.

وجانب آخر جدير بالاهتمام وهو أن بريطانيا دأبت منذ انتدابها على فلسطين على ضرورة إحلال البديل حال انتهاء فترة انتدابها هذه.. لأنه في اعتقادى انتداب مشروط؛ لأنه لا يعقل أن تقبل الصهيونية بأن تكون بريطانيا دولة منتدبة على فلسطين دون أن تكون قد اشترطت

---

(٦٦) الشريف . المرجع السابق ص ١٥ .

عليها الشرط الأساسي في قبولها للانتداب البريطاني، وهو تسليم فلسطين لها بعد انتهاء الانتداب، ويكون هذا الجانب التطبيقي لوعد بلفور.

وبالمقابل فان بريطانيا كانت ترى في احلال اليهود محلها في فلسطين من حيث الاستيطان وقيام سلطتهم، فان هذا يؤمن مصالحها ومصالح الدول الغربية الأخرى من خلال هذا الاجراء. وهنا يبرز مدى شدة الترابط والتشابك بين مصالح الصهيونية وبين مصالح الاستعمار ومخططاته بعيدة المدى. ومن هنا يبرز الجانب الاستراتيجي من الدوافع أكثر من غيره.

فاسرائيل قاعدة عسكرية واقتصادية للدول الاستعمارية. فمطاراتها وموانيها قواعد لهذه الدول حربا كانت الأوضاع أم سلما[٦٧]. واسرائيل يقدم وجودها أكبر دفعة اقتصادية للشركات التي تصنع السلاح. ولكلما قامت اسرائيل باعتداء على الدول العربية المجاورة كلما زاد الطلب على السلاح وزادت صناعته، وتقدم تطويره، وبالتالي تشتد المنافسة في اقتنائه، وهذا أمر مربح للدول الصناعية، هذا إذا أخذنا في الحساب رأس المال الصهيوني العامل في المجالات الصناعية في الدول الصناعية الغربية والولايات المتحدة الأمريكية. ومن هنا فان قيام اسرائيل ووجودها في المنطقة ثم اعتداءاتها تجد مساندة قوية من الشركات العالمية بخاصة الصناعية الاستراتيجية أو الصناعات الأخرى التي تلتصق بها.

وان المصروفات على السلاح ثم تدميره ثم محاولة شرائه واقتناعه؛ كل هذا يعيق عملية تطوير المجالات الأخرى في البلاد العربية التي ابتليت بهذا الخطر الجسيم. وهكذا تظل عملية التقدم والتطوير في الوطن العربي عملية ناقصة زد على هذا ما يترتب على ذلك من سلبيات أخرى تنعكس في تأثيرها على الانسان العربي.

وفي الخامس من حزيران من عام ١٩٦٧م **١٣٨٧ هـ** حدث تغيير آخر على الخريطة الفلسطينية بعد أن شنت اسرائيل عدوانا سافرا على العالم العربي بخاصة الدول التي وقعت معها خط هدنة عام **١٩٤٩م ١٣٦٩ هـ** ، وبعد أن مهدت لهذا العدوان بالاستعداد العسكرى

(٦٧) ارجع في هذا المجال الى :
خطاب (محمود شيت) : الوجيز في العسكرية الاسرائيلية ، دار الارشاد للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٨ هـ/١٩٦٩م ص ٢٢، ٢٣.

من جهة والاعداد المعنوى والاعلامي من جهة أخرى. وكانت حصيلة العدوان أن أصبحت فلسطين بأكملها تحت الاحتلال الاسرائيلي. ثم تبع ذلك أجزاء أخرى من أراضي الدول العربية المجاورة لها.

وإذا نظرنا الى الخريطة الجديدة نلاحظ أن الصهيونية كانت ترى في حدود فلسطين مرحلة أولى من مراحل توسعها. فلما سنحت لها ظروف التوسع استغلت ذلك فتوسعت الى أبعد من حدود فلسطين [٦٨].

وبرهن العدوان الاسرائيلي الجديد عام ١٩٦٧م **١٣٨٧** هـ على أن اسرائيل سائرة في مخططها التوسعي وهو ما حددته الخريطة الصهيونية من الفرات الى النيل [٦٩]، وهي حدود اسرائيل الكبرى كما تدعى الصهيونية.

وهكذا نلاحظ أن اسرائيل لم تقف عن التوسع. وخير ما يدل على ذلك حرب عام ١٩٤٨م **١٣٦٨** هـ وحرب عام ١٩٥٦م **١٣٧٥** هـ وحرب عام ١٩٦٧م **١٣٨٧** هـ .

وبناءً على النظرة التوسعية لاسرائيل؛ لابد وأن يكون للجانب الآخر موقف مضاد يعيق كل مخططاتها وذلك عن طريق شحذ الجهود والطاقات البشرية العربية والإسلامية. وعن طريق الافادة من الأموال العربية المتدفقة من الطاقة. وعن طريق بناء قوة عسكرية رادعة. وعن طريق تغيير المفاهيم التي لحقت بالفرد العربي من جراء الهزائم العسكرية المتلاحقة لقواته العسكرية. وعن طريق زرع بذور الوحدة بين العرب على الأقل ليحدث التعاون المثمر في كل المجالات العسكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. وعن طريق التوعية الاعلامية المدروسة ضمن نطاق العالمين العربي والإسلامي من جهة؛ وضمن نطاق عالمي من جهة أخرى [٧٠].

---

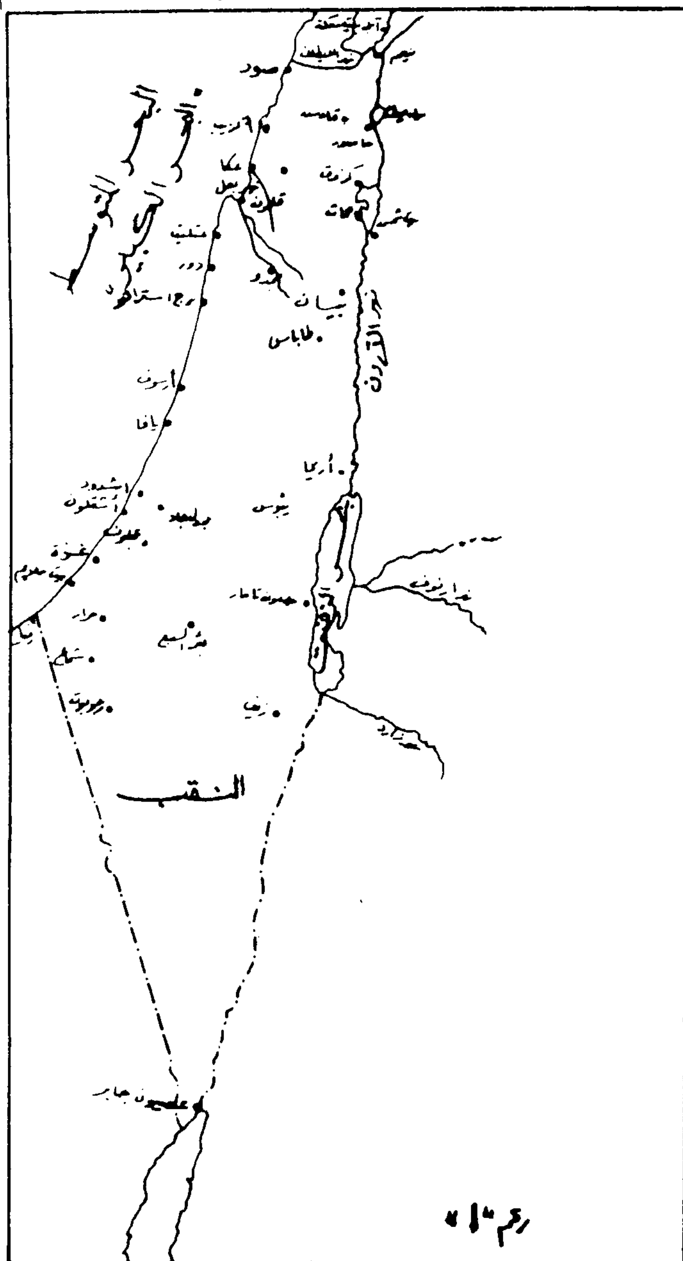
(٦٨) انظر الخريطة رقم (١١)

(٦٩) انظر الخريطة رقم (١٢)

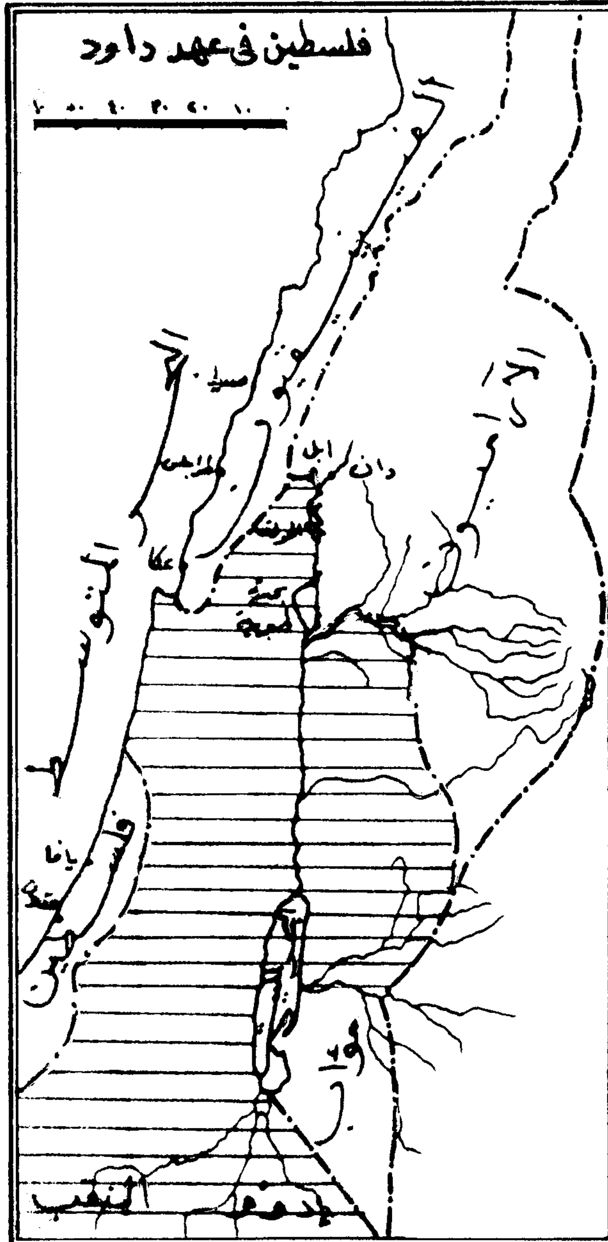
(٧٠) انظر في هذا المجال :

خطاب (محمود شيت) : طريق النصر في معركة الثأر. دار الفكر، بيروت.

فلسطين في العهد الكنعاني العربي - من نحو ٣٠٠٠-١١٠٠م

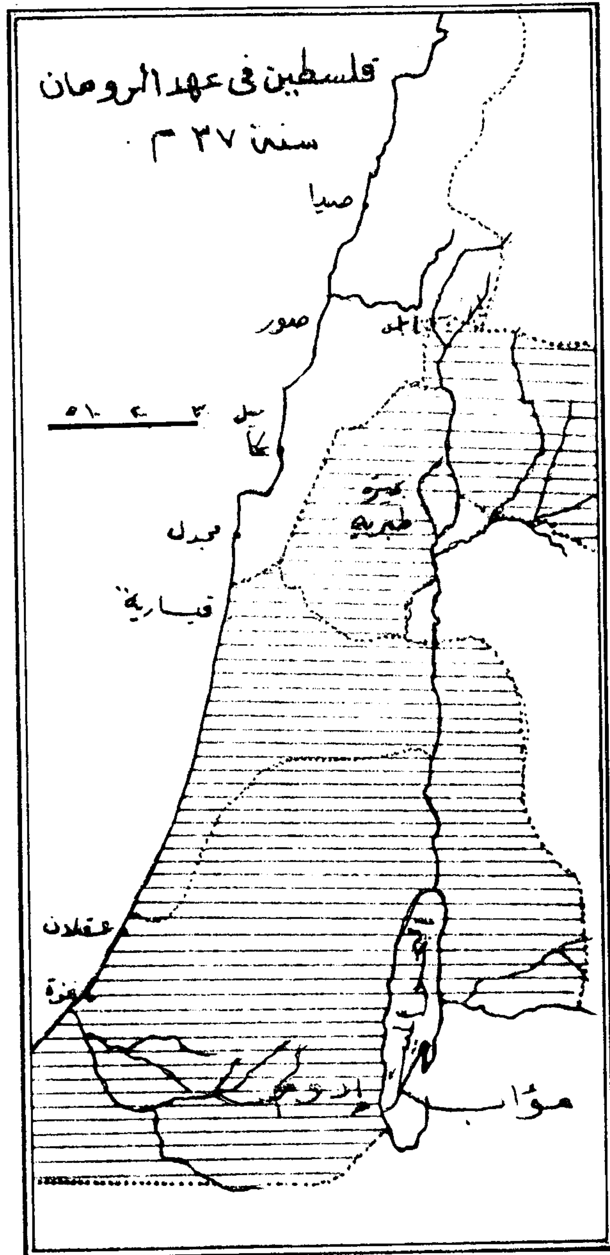


أخذت من كتاب «بلادنا فلسطين» لمصطفى الدباغ



"٣"

من كتاب الوثائق الفلسطينية "



"٣"
من الوثائق الفلسطينية

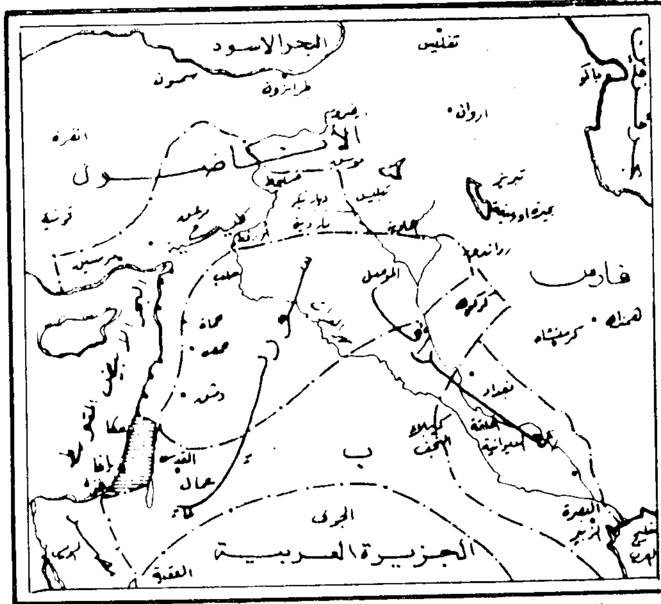
ماردين
أورفة
بيره جيك
ولاية حلب
حلب
الفرات
حماة
طرابلس
بيروت
بعلبك
دمشق
حيفا
يافا
عمان
غزة
العقبة
البحر الأبيض المتوسط

سورية

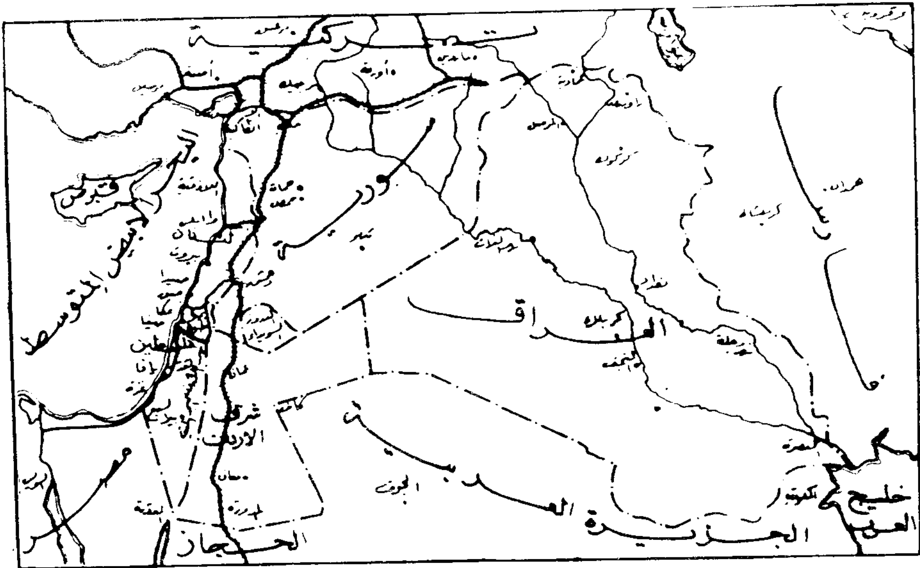
تقسيماتها الإدارية تحت الإدارة العثمانية

"٤"

سنة الدراسة الفلسطينية

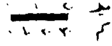


تقسيم سورية والعراق
حسب اتفاقية (سايكس بيكو) سنة ١٩١٦
"٥٥ من .. الرائد الفلسطينية"

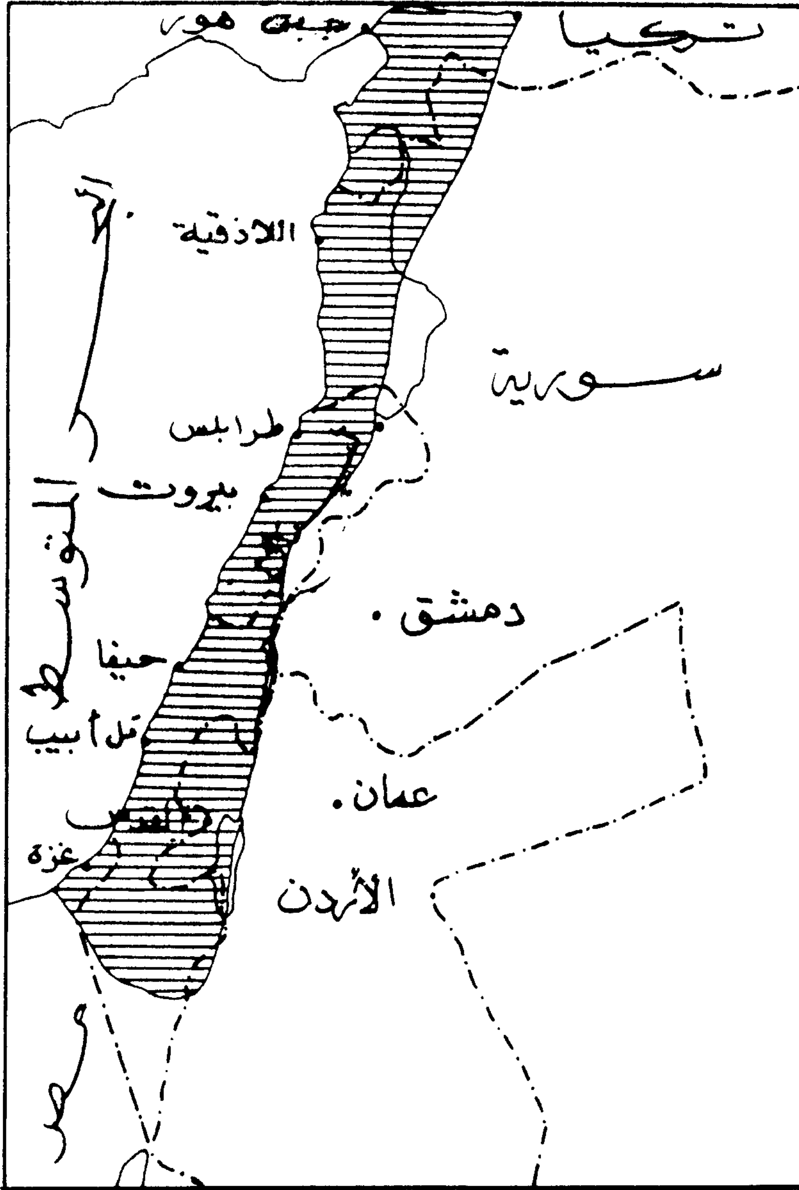


مناطق الانتداب البريطاني والفرنسي
في سورية وفلسطين والعراق "الرائد الفلسطينية" رقم "٦"

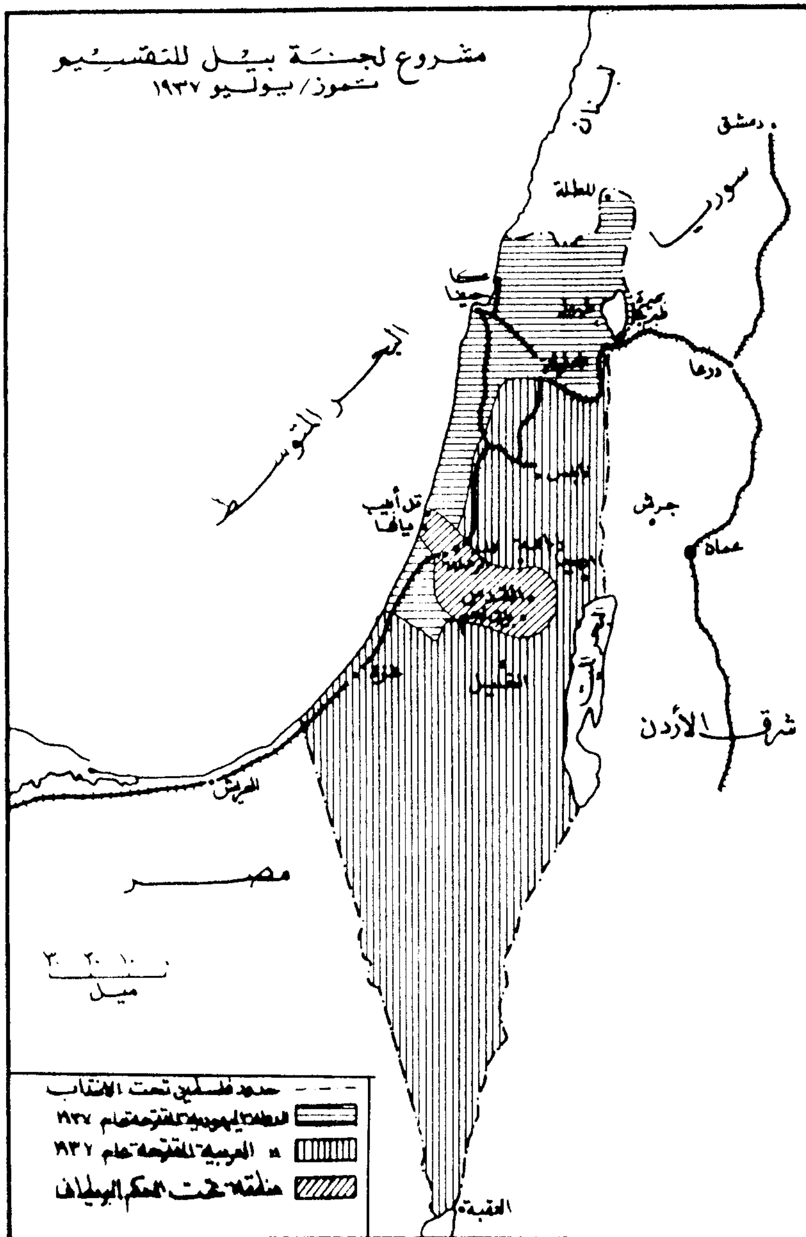
المشروع الذى قدمته المنظمة الصهيونية إلى
مؤتمر فرساي ١٩١٩م



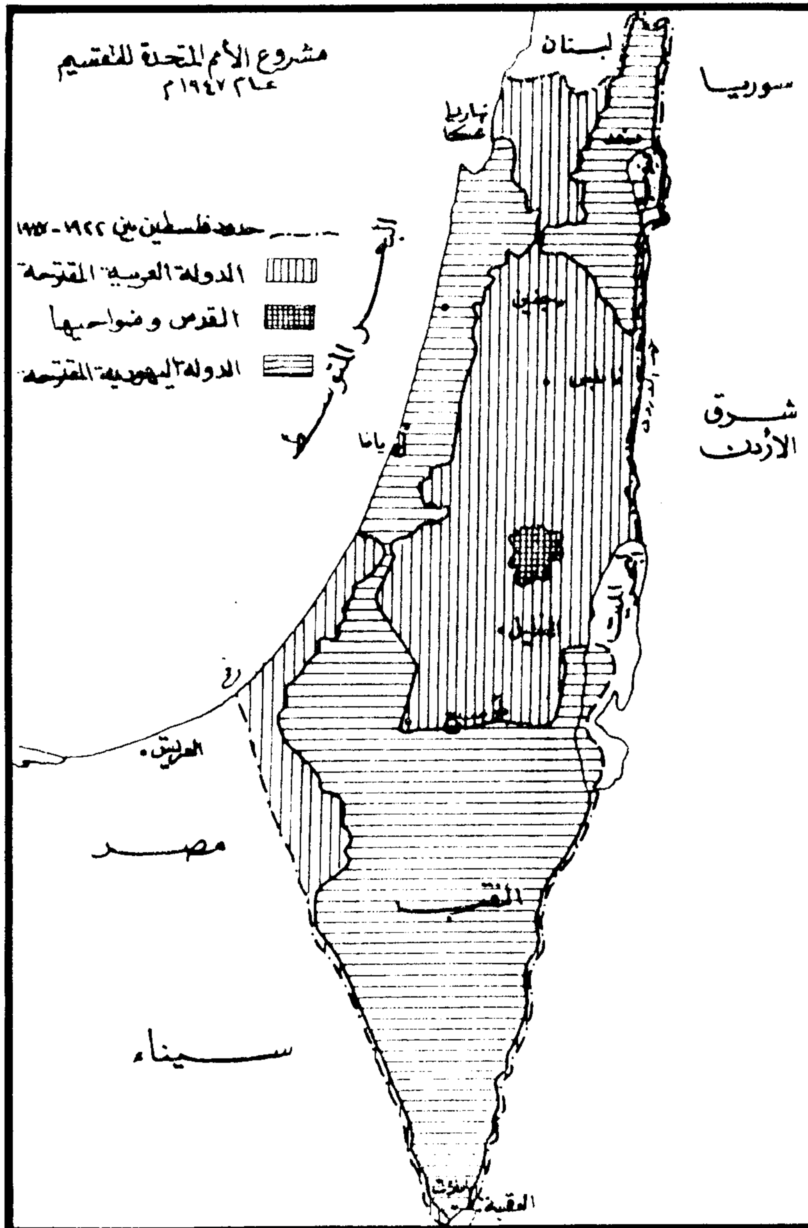
"٧" من المشكلة الفلسطينية

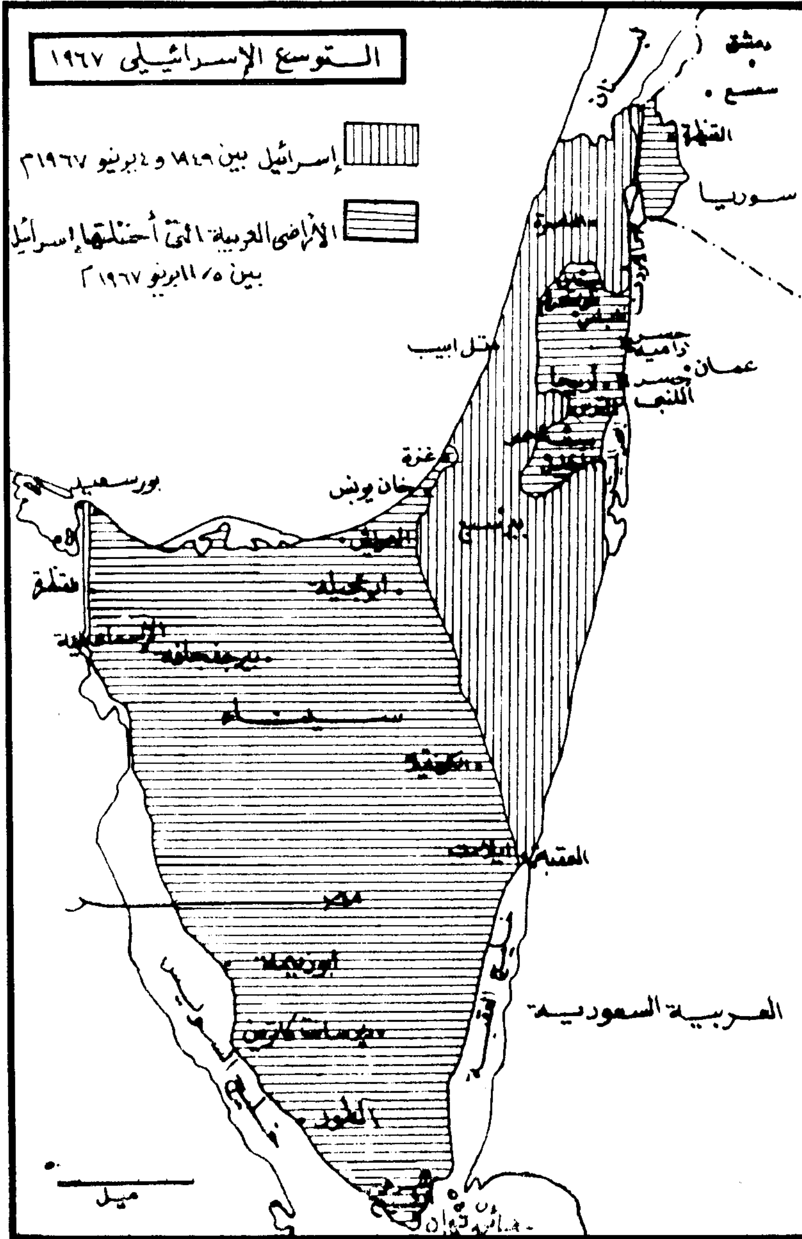


الحدود التي يطالب بها إزاكس للمملكة الفلسطينية
"٨"

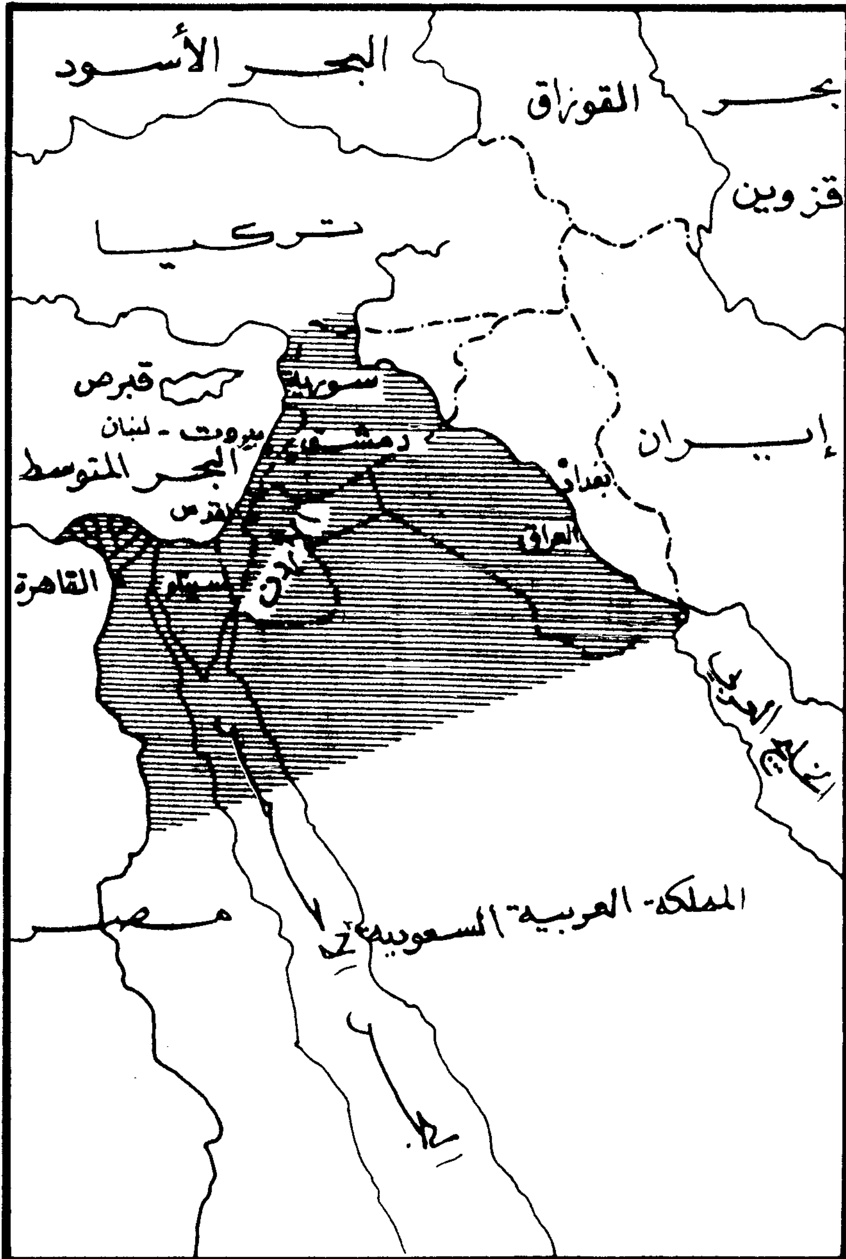


" ٩ " من أطلس الصراع العربي الصهيوني.


مشروع الأمم المتحدة للتقسيم
عام ١٩٤٧م
حدود فلسطين بين ١٩٢٢ - ١٩٤٨
الدولة العربية المقترحة
القدس وضواحيها
الدولة اليهودية المقترحة
لبنان
سوريا
شرق الأردن
البحر المتوسط
يافا
العريش
مصر
النقب
سيناء
العقبة



من أطلس الصراع العربي الصهيوني



"١٢" الوثائق الفلسطينية